تقديم: صُنع الله إبراهيم

جمهوركية آل مبارك

صعود سيناريو التوريث

الطبعة الثالثة

محمد طعيمه

جمهورية آل مبارك..

صعود سيناريو التوريث.

مقالات مختارة

محمد طعيمة

الطبعة الثالثة ٢٠٠٩

٦ (ب) شارع قصر النيل. القاهرة
تليفون / فاكس: ٢٥٧٩٧٧٦٠٠ (٢٠٢)
www.darmerit.org
merit56@hotmail.com

الغلاف : صلاح عبد العظيم

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ١١٦٩٠/ ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: 977-351-259-2

محمد طعيمة

جمهوركية آلـــ مبارك..
صعود سيناريو التوريث.

مقالات مختارة

ميريت
القاهرة ٢٠٠٩

المؤلف:

- مسئول التحرير المركزي بجريدة العربي، من أول عام ٢٠٠٠ حتى ابريل ٢٠٠٤.
- المنسق الإعلامي لحركة كفاية حتى يونيه ٢٠٠٦

تقديم

فيما بعد، عندما ينجلي غبار المعركة، ويفوز الشعب المصري بحقه في اختيار حكامه، ويتخلص من القوانين المقيدة للحريات، ومن القمع الذي كبل حيويته، عندما يفرض خطة للتنمية الحقيقية تأخذ مصالح الأغلبية في الحسبان، وحقوقها في العمل والصحة والتعليم والعدالة، عندما يتحرر من النفوذ الأجنبي والهيمنة الأمريكية، ويستعيد دوره الطليعي عربياً وعالمياً، فيساند بحزم المقاومة العراقية للاحتلال الأجنبي، ويتصدى للعدو الإسرائيلي ولبرنامج تصفية الشعب الفلسطيني.

عندما يحدث كل ذلك، سنكون في حاجة الي سجل يذكرنا بالدور الذي لعبته مقالات محمد حسنين هيكل في تصحيح الوعي الجمعي، والدور الذي لعبه برنامج حمدي قنديل في إشعال الوعي القومي، وبموقف الصحفيين الشجاع من رموز السلطة في انتخابات نقابتهم، ودورهم في كشف المستور والتصدي للفساد الضارب في ظل سلطة شاخت وتعفنت وباعت مصالح البلاد وثرواتها من أجل الاستمرار بالتمديد أو التوريث، وبالدور الطليعي لحركة "كفاية" التي نقلت المعركة من الغرف المغلقة إلى الشارع رغم أنف الطغيان.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يوثق فيه مؤلفه - من خلال مقالاته المتتابعة في صحيفة العربي الناصري - لفضيحة التوريث. ويلقي الضوء علي كثير من تجلياتها وشخوصها.

يسجل الكتاب أول ظهور لجمال مبارك في ١٩٩٨ والخطوات التي صحبت إعداده للدور القادم، بدءاً من جمعية المستقبل والمجلس الرئاسي المصري الأمريكي حتي السيطرة علي الحزب الوطني والحكومة، وتفاصيل الصراع الذي نشب بين الحرسين القديم والجديد.

ويسجل للمؤلف أنه - في وقت كان الاقتراب فيه من العائلة الحاكمة من المحظورات - من أوائل من تعرضوا إلي دور زوجة الرئيس المتشعب في الحياة السياسية، وربما أول من تحدث عن اللواء عمر سليمان الذي ما زال يعتبر من الشخصيات الغامضة في الحياة السياسية. وأول من أشار إلي حديث جمال مبارك الشهير في يناير ١٩٩٩. والي اعتراف الأب في ١٩٩٣ بمشاركة ابنه في شراء وبيع ديون مصر.

وما زلت أتذكر مشاعر الإشفاق عليه بعد كل مقال من مقالاته، والصعوبات التي واجهها بسبب مواقفه. ولا أنكر أني خفت عليه بعد أن قرأت هذا الكتاب. لكن هناك في الحياة أدوار مقدرة مهما بلغت إزاحة ثمنها.

صنع الله إبراهيم

إلى نبوية وعمر

إلى (نبوية السيد عبدالله)، إنكفئت علينا لتربينا بصحتها. لم تسرق من أجلنا، رغم خنقة الحياة، حقوق الآخرين.

هاهي قد رحلت، ١٤ ديسمبر ٢٠٠٨، قبل أن نحقق حلمها الوحيد "بيت العز".. مجرد بيت تجمع فيه أولادها الستة وأحفادها.. تحت تكعيبة عنب.

إلى (عمر). المستقبل الذي نتمناه، شارباً من "عبل" جدته.



قبل الثالثة

مع "مجرد خطوات تمهيدية" لسيناريو التوريث تكاد بنية الدولة الأقدم تاريخياً أن تتفكك.

والأمر لا يقتصر على "أنكم.. انت وأبيك لا تدركان قيمة البلد الذي تحكمونه" كما قال المفكر الليبرالي الراحل سعيد النجار لجمال مبارك في نادي الدبلوماسيين، بل انهم أصلاً لا يعون معنى "دولة".. من مصلحتهم الإبقاء عليها ليجدوا ما يحكمونه.. وينهبونه.

حالة تجريف عام تتعرض لها مصر، توحش أمني لا يرحم أحد.. من العشوائيات إلى بنية الدولة القانونية/ القضاء.. وإهدار تام لفكرة "الوطن"، أخرها ترك "المواطنين" لتطحن عظامهم، بعد كرامتهم، تحت أحجار جبل المقطم. وحرائق طاردت فئة من المصريين/ قطار الصعيد – مسرح قصر ثقافة بني سويف.. ثم مؤسسات هي أعمدة رئيسية في بنية مصر التي حلمنا بها دولة حديثة.. البرلمان والمسرح القومي ومصانع المحلة، ولكل منه دلالته في ذاكرة البلد. وحرائق الفتنة بين "عنصري الأمة" لم تعد تحت الرماد.. بعد أن أصبحت دائمة الاشتعال.

في ظل حكم الأب مبارك، ثم بالشراكة مع الابن جمال، تآكل الرصيد الاقتصادى والسياسي والإقليمي والاجتماعي والثقافي.. و"الإنتمائي" للبلد. فإذا كان الأب لا يدرك معنى "رجل الدولة".. فالابن وفريقه يتصرفون وكأنهما "إقطاعية" يتقاسمون ناسها وزرعها وضرعها. ومع تجفيفهم المستمر لينابيعها، قننوا تعاونهم، على النهب الفوضوي، مع نماذج مثل ممدوح إسماعيل وأحمد عز وهشام طلعت مصطفى.. علناً وبفجاجة مُلاك الإقطاعيات.

توابع إفرازات "شراكة الأب والابن" المدمرة حركت "البعض" من داخل "بنية" النظام نفسه.. للتحذير.. ثم الاعتراض المباشر.. الذي قيل انه أوقف "محاولة تنفيذ" سيناريو للتوريث كان مقرراً لها نوفمبر القادم. وتنقل مصادر لها مصداقيتها أن عنصرين فاعلين جداً في بنية النظام، رغم ما يشاع بأن "العادي" هو تنافسهما، عرضا الاستقالة بهدوء.. حينما جاءهما رداً حاداً على انتقادهما "المشترك"، لاستمرار خطوات التمهيد للتوريث.

الآن يحتد الجدل بين توريثين، الأول لصالح جمال، والثاني لصالح منظومة الحكم التي تعتمد على شرعية ثورة يوليو.. مع الحديث عن "مقايضة تاريخية".. تتضمن حزمة إصلاح دستورية مقابل إعلان قوى المعارضة والحراك السياسي تأييدها لاستمرار ذات المنظومة.

لكن البداية كانت على صفحات جريدة (العربي). ولكنها كانت "تلميحات" التوريث تظهر خجولة بالمجالس الخاصة، لتتشجع قليلاً بعد إشارة (الأستاذ هيكل) إليها بالجامعة الأمريكية.

قبلها لم يتعرض لها أحد بوضوح.. للبعض عبر، في أعمدة الرأي، عن مخاوفه من تكرار سيناريو (بشار الأسد)، لكن أحدا لم يقترب من خطوط السيناريو .. كما كان يُطبخ.

حينها، وبعد لقاء (جاك سترو/ وزير خارجية بريطانيا) بجمال، منتصف ٢٠٠٢، دشن مصريون مقيمون بالخارج، تحديدا في تورونتو بكندا، حملة جمع توقيعات ضد التوريث، مع رصد لتطورات صعود جمال. التقطناها من منتداهم على الشبكة العنكبوتية إلى أوراق (العربي) بتأثيرها الأوسع إعلامياً وسياسياً. وكان أول تدقيق صحفي عن إرهاصات التوريث. وبدأت معارضة.. ثم مقاومة سيناريو التوريث تخرج للنور في ثلاث حلقات متتابعة.

أذكر وقتها كلمات المبدع.. الغارق في هموم وطنه (صنع الله إبراهيم) بكل قيمته لدينا.. "هذا عمل غير مسبوق في تاريخ الصحافة المصرية". كوسام سأظل أفخر به، ليشجعني على إكمال سلسلة تحقيقاتي عن التوريث، ثم توثيقها في هذا الكتاب.

لكل تحقيق منها ظرفه الخاص في تاريخ نشره. لكن يظل لكل منها "طزاجته الزمنية" وسبقه، ومؤشراً على تطور سيناريو التوريث. ومن الطبعة الثالثة حذفت ما رأيت أن الزمن تجاوزه، وأضفت ما تيسر لي متابعته من السيناريو .. أما الهوامش فترصد تطورات ما بعد النشر، حتى سبتمبر ٢٠٠٨.

وكلها - عدا تقرير (جمال وعلاء)- نُشرت في التجربة التي سبقوها.. عندها نؤرخ مصر أكثر فيما بعد.. (العربي) التي لم

تخرق الخطوط الحمراء فقط.. بل ظللت منفردة بمحاربة التوريث لأكثر من عام قبل أن ينضم لها آخرون.

-

كشف اللا مستور

١٠٢١



(١) استفتاء على التوريث

فجأة، ابتداء من الثلاثاء الماضي، وبدون سابق إنذار، تفجرت قضية توريث الرئاسة، في حملة لم نعثر لها على أوصاف محايدة.

في توقيت واحد امتلأت "الإيميلات" بمقال لـ (د. العقيد محمد الغنام) (٢).. المفصول من الشرطة واللاجئ إلى سويسرا، وباستفتاء عن قضية التوريث.. وبرصد لبدايات ظهور اسم (جمال) في الإعلام المصري، عنوانيهما،

و (-/www.egyptiantalks.org/phpbb2plus)

و (www.petitiononline.com/ouregypt/petition.html)

وبيان لمجموعة أسمت نفسها (المصريون الأحرار) .. التي تتفرد بين المواقع الأربعة بالإشارة إلى قضية القدس ورفض (مبارك) عروض إسرائيل بكامب ديفيد"٢"، وبالتالي "عرقلته" للسلام بالمنطقة. وبالطبع ليس هذا اتهاماً من وجهة نظر الأغلبية الساحقة من المصريين.

علـــى موقــــع (محــــاورات المصريين) [٢] المربوط بجريدة (الوفد)، نقرأ رصداً- محايداً ظاهرياً - لبدايات بروز اسم (جمال) بالـــصحف المـــصرية.. وتحديـــداً بـــ(الأهرام).. يقول صاحبه بالحرف: "إخوانى وحبايبى وحتة من قلبى.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بالبحث في جريدة (الأهرام).. تبين التالي:

١- أول خبر ورد فيه اسم (جمال مبارك)، كان في ٤ أكتوبر ١٩٩٨، بـــاب الاقتـــصاد، بعنوان "نخوض معركة التنمية بروح أكتوبـــر".. "أكد د.يوسف بطرس غالي في افتتاح أعمال المحور الاقتصادي بالندوة الاستراتيجية حول حرب أكتوبر، والتي افتتحها الـــرئيس مـــبارك أمس، ونظمتها وزارة الدفاع والإنتاج الحربي. ويـــتحدث (جمـــال مـــبارك) فـــي الحلقـــة النقاشية حول التعاون الاقتصادي العربي في إطار التعاون الاقتصادى الإقليمي.. وكيف نمنع نشوب حرب جديدة".

•• هـــنا يشير الأهرام إلى ("السيد" جمال مبارك) بدون أية صفات.

٢- الأربعـــاء ٢٥ نوفمبر ١٩٩٨، الصفحة الأولى، بعنوان "مـــبارك يستقبل الرئيس الأمريكي".. "وصرح السيد محمد لطفي منـــصور - ســـكرتير عـــام جمعية المستقبل-التي يرأسها (السيد جمال مبارك)، بأن..".

••هـــنا ينبئـــنا الأهـــرام بمنصب (السيد جمال)، وهو "رئيس جمعية المستقبل".

٣- السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨، بعنوان "جمعية المستقبل تستضيف الرئيس الأمريكي السابق بوش في حفل عشاء خيري".. "أقامت جمعية المستقبل حفل عشاء خيري حضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش. الذي ألقى كلمة أشاد فيها بسياسة الرئيس مبارك، وبدوره في تحقيق السلام بالشرق الأوسط، وبخطوات الإصلاح الاقتصادي في مصر. وأعلن جمال مبارك رئيس الجمعية، إنها ستقوم ببناء ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل خلال السنوات الثلاث المقبلة".

** تميز الخبر بسذاجة جديدة، إذ تم نشر صورة لـ(السيد جمال مبارك)، والتعريف بجمعية المستقبل وتقديمها بصورة تلقى استحسان الناس.

٤- في نفس اليوم، السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨، الصفحة الأولى، بعنوان "جمال مبارك: جمعية المستقبل تبني ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل".. "أكد جمال مبارك عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي ورئيس جمعية المستقبل، أن الجمعية سوف تبني ١٥ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل، خلال السنوات الثلاث المقبلة، وإنها تقوم بدورها في توجيه دعم القطاع الخاص لبناء مساكن حضارية مناسبة لذوي الدخول المنخفضة من أبناء الشعب. جاء ذلك في كلمته بالحفل الخيري الذي أقامته الجمعية وحضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش كضيف شرف، ود. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ورجال الأعمال ورؤساء البنوك والشركات".

** يُنبئنا الأهرام بمنصب أخر لـ(السيد جمال)، هو عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي"[4].

٥- الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٩٨، باب تحقيقات، بعنوان "سوزان مبارك خلال توزيع عقود مساكن مشروع المستقبل للأسر البسيطة".. شهد الاحتفال د. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ووزراء الإعلام والاقتصاد والتعاون الدولي والمحافظون الذين تقع بنطاقهم المدن الجديدة، والسيد جمال مبارك رئيس جمعية إسكان المستقبل، ورجال الأعمال والمستثمرين".

** مع الخبر صورة للسيدة سوزان وبجوارها (السيد جمال).

** ملاحظة: تشابه بين هذا الخبر وخبر أخر بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٩٩، مع تطور وضع السيد جمال فيه.

٦- ٢ يناير ١٩٩٩، باب الرياضة، بعنوان "في دورة حورس الرمضانية.. علاء وجمال مبارك سجلا أهداف الصقور".

** يتابع الأهرام في سلسلة تقارير الدورة الرمضانية التي انتهت بفوز الصقور، وصور (السيد جمال) وهو يلعب.

٧- الثلاثاء ٢ فبراير ١٩٩٩، باب الاقتصاد، بعنوان "دافوس مصغر في القاهرة.. كبار خبراء الاقتصاد في العالم يناقشون مستقبل النمو الاقتصادى في مصر:.. ويختتم اليوم الأول بجلسة عامة يرأسها جمال مبارك عضو المركز المصري للدراسات الاقتصادية. يتحدث فيها عبدالشكور شعلان".

** ينبئنا الأهرام بمنصب جديد لـ(السيد جمال)، وهو عضو المركز المصري للدراسات الاقتصادية[1].

هيا إلى موقع (محاورات المصريين) للظاهري، لا يقارن بسطوانة بيان- مقال (محمد الغنام)، الموزع عبر المرصد الإعلامي الإسلامي التابع للجماعة الإسلامية، ولن نستطيع وفق أي سياق إيراد أية أجزاء منه، سوى فكرته العامة.. التحذير وبألفاظ قاسية من توريث الحكم، ومن خطوات-رصدها الغنام- لتخفيفه.. أخفها إشارته لخطوات مثل سيطرة جمال على الحزب الوطني، أما الباقي.. فالصمت أفضل.

الحلقة الثانية من الحملة نجدها على موقع بعنوان "لا لتوريث الحكم"، افتتح به من قال إن اسمه (أيمن سلامه) استفتاء لرفض التوريث، استهله ببيان قال فيه[2]:

<<نحن مجموعة من أبناء الوطن في الداخل والخارج، من مقيمين وعابرين على هذا الوطن، ولا ننتمي إلى أي تنظيم حزبي أو تيار سياسي محدد، واعتدنا الالتقاء عبر منتديات الإنترنت لنناقش هموم الوطن وأفضل السبل للارتقاء به>>.

ثم ستحدثنا إلى "أبناء الوطن العريق": <<لاحظنا الأونة الأخيرة تحركات رسمية صريحة على الساحة السياسية، لا هدف لها سوى تأهيل السيد/ جمال مبارك، نجل رئيس الجمهورية/ محمد حسني مبارك ليكون رئيسا للجمهورية خلفاً لوالده. مؤشرات هذه التحركات عديدة وواضحة، مثل استحداث منصب لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم وتعيين السيد جمال مبارك

رئيساً لها بقرار من والده. وتتردد شائعات فيما يتم تداوله عن اتجاه لأن يحتل السيد جمال مبارك مناصب حساسة، ليكون هو المؤهل لتسلم الحكم تلقائيا، وبحكم الدستور في حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو نقل تلك الولاية له حاليا في وجود الوالد.

نرى السيد جمال مبارك وقد أصبح محط اهتمام الإعلام، ويدلي بالتصريحات السياسية المختلفة ويحدد اتجاهات الدولة. أن كل ما يجري على الساحة وتتداوله الصحف ووكالات الأنباء العالمية يؤكد بوضوح أن هناك قراراً قد تم اتخاذه بالفعل، وأن ما نراه حالياً هو التطبيق العملي لتلك الخطة التصعيدية لكرسي الحكم.

نحن أبناء الوطن نرفض الحجر علي إرادتنا المستمر طوال خمسين سنة، ونطالب الأحزاب والقوى السياسية والقانونية والمؤسسات المدنية والأدباء والصحفيين الشرفاء بالتصدي لهذا المخطط بكل السبل السلمية والقانونية والدستورية. ونتساءل عن شرعية ودستورية أن يعين السيد رئيس الجمهورية نجله في منصب قيادي في الحزب الأوحد الحاكم.

نحن أبناء هذا الوطن نرفض أن نورث ونجدد مطالبنا الدائمة بإلغاء قانون الطوارئ وإقرار نظام ديمقراطي يسمح بتداول السلطة، وفتح باب الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية وإجراء انتخابات الرئاسة في ظل مناخ تعددي وفي ظل انتخابات حرة نزيهة.

كمـــا نناشـــد الشعب العظيم بكل فئاته بأن يترك السلبية وأن يشارك في العمل الوطني البناء. وأن يتنبه لما يحاك له وأن يبادر الجمـــيع باســـتخراج بطاقات التصويت الانتخابية التي تمكنهم من الإدلاء بأصـــواتهم بـــدلاً مـــن أن تـــزيفها لـــصالح الانتهازيين والاستغلاليين>>.

يواصـــل البـــيان <<يـــا شعب مصر: العالم يتغير من حولنا بخطـــى متـــسارعة، وبعـــد أن كنا بين دول المتقدمة في العالم، أصـــبحنا في آخر الركب وسبقتنا دول ما كنا نحسب أن تساوينا، فضلاً على أن تسبقنا. إن الديمقراطية والحريات والمجتمع المدنية أصـــبحت من الضروريات الأساسية التي لا غنى عنها لكل شعب يـــريد أن يقف وسط شعوب العالم وأن يتعامل معها في إطار من الندية والتكافؤ. حان وقت انتقال السلطة إلى الشعب، لا لتوريث الحكم، ولا لجمال مبارك.>>.

(أيمـــن ســـلامه) ســـواء كـــان اسماً حقيقياً أو وهمياً، افتتح التـــصويت بـــرفض التوريث، وحتى مساء الجمعة كان أكثر من "٥٠٠" مـــصري وقعـــوا بالرفض، وبتعبيرات مختلفة تتفاوت في حـــدتها.. بعضها بالإنجليزية وأغلبها بالعربية، عدا شخص واحد وافق على التوريث، اسمه (د. وحيد).

٢٠٠٢-١٢-١٥

هوامش

(١) مانشيت الصفحة الأولى: معركة التوريث على الإنترنت.

(٢) عقـيد شرطة سابق، كان مسؤولاً عن إدارة الأبحاث بالداخلية، قبل إجباره على الاستقالة لانتقاده فساد وآليات عمل الشرطة.

(٣) (محاورات) كان يرعاه القيادي الوطني الراحل إبراهيم الدسوقي.

(٤) بعد شهور، سيصبح جمال المتحدث المصري باسم المجلس بدلاً من رجل الأعمال شفيق جبر.

(٥) مركز يسيطر عليه الليبراليون الجدد المقربون من جمال، رعاه رجل الأعمال طاهر حلمي. وتقول أوراق رسمية أن المركز يحصل على ٥٠% - تقريباً- من التمويل الأجنبي الموجه للمجتمع المدني.

(٦) البيان هو أول تحرك علني ضد التوريث. أنظر (وثائق).

تكهنات غربية ترصد سيناريو التوريث

خلافاً لما حدث داخل مصر، توقفت قضية "الخلافة" خارجها منذ عام ١٩٩٥، تخفت حيناً وترتفع أحياناً.

الاهتمام الغربي بـ "ما بعد مبارك"، تفجر لأول مرة بعد محاولة اغتيال الرئيس في أديس أبابا عام ١٩٩٥، ثم في بورسعيد عام ١٩٩٩[1]، وتحولت التساؤلات إلى ابنه الأصغر مع الحديث في ذات العام عن حزب جديد يؤسسه باسم (المستقبل)[2]، ثم مع ضمه للصف الأول بالحزب الحاكم عام ٢٠٠٠، وبلغت حدتها قبل وبعد مؤتمر الحزب الوطني سبتمبر الماضي.. وتجددت التلميحات مع حضوره احتفالات عيد الميلاد المجيد.

عشرات المقالات ناقشت القضية، (فاينانشيال تايمز) في ٢-٦- ١٩٩٥، و(نيويورك تايمز) أكثر من مرة، منها (٨-١١-١٩٩٩ و٣-١٠-٢٠٠٢)، وأيضاً (الديلي ستار) أكثر من مرة. ومعهما دراستان.. أولاهما من معهد دراسات الشرق الأوسط الأمريكي الجنسية.. للصهيوني اليهودي، أعدها (دانيال سوبلمان)

المحلل بـ"هاأرتس".. وبالمعهد نهاية ٢٠٠١، وهي الأكثر إسهاماً في التعرض للقضية، منذ بداياتها.

تحت عنوان"جمال مبارك.. رئيس مصر؟"، يبدأ (دانيال) دراسته متسائلاً: من يخلف مبارك؟. يُكمل: لا أحد عنده إجابة كافية، لأن الرئيس المصري يرفض تعيين نائباً له.. غالباً سيكون الرئيس التالي له. مبرراً التساؤل بقلق المصريين على مستقبلهم بعد مغادرة مبارك للمشهد السياسي.. خشية أن تتعرض البلاد لتقلبات واسعة النطاق، سيكون لها نتائج هائلة على الشرق الأوسط كله". هذه النتائج، بالطبع-يضيف دانيال- تشغل بال صُناع القرار بدول إقليمية وغربية.

دانيال، كما غيره من المُعلقين على "القضية"، يورد فقرات تعريفية بمسيرة الرئيس، مشيراً إلى أنه الأكثر بقاءً على قمة السلطة في مصر الحديثة منذ محمد علي.. ومُسهباً في رصد ترشيحات لأسماء ظهرت منذ بداية التسعينيات كـ"خليفة مُحتمل"، حتى بروز (جمال) على قمة الترشيح "البديل"، وكلها أسماء خرجت من مؤسسة سيادية [٣]، هي الأكثر تقديراً من الشعب، مشيراً هنا إلى حوار (الأستاذ هيكل) لـ(روزاليوسف) [٤]، على حلقتين، تعبيراً عن مخاوف المصريين من "الفراغ"، وهي نفس التخوفات التي تجددت في سبتمبر ١٩٩٩ مع حادثة موكب الرئيس في بورسعيد، ليكون التكئة التي استغلتها صحف المعارضة لإثارة قضية خلافة الرئيس ثانية، مُطالبة باختيار نائباً له.

مبرر اخر للحديث عن "الخلافة" عام ١٩٩٩، يواصل دانيال، يتعلق بالابن الأصغر لمبارك وفرص خلافته لأبيه، خاصة بعد ما تردد عن تكوينه حزبا باسم (المستقبل). أكثر من مقال أشترك في رصد إشاعات تكوين الحزب كنقطة انطلاق (جمال) نحو السلطة، صدها (الديلي ستار) في ٢٣-٩-٢٠٠٢، وبالطبع تكرر نفي الرئيس.

قبلها، لم يكن جمال يعرف الا كـ"رجل أعمال" شاب، تتركز أنشطته بلندن، وإن ارتبطت بمصر وبمنطقة الشرق الأوسط، كما أوضح هو بنفسه في حوار تفصيلي وفريد عن نشاط شركته، نشر يناير ١٩٩٩، تجده على موقع (www.winne.com)، أشار فيه إلى عمله ببنك أمريكي في مصر لخمس أو ست سنوات، ثم انتقاله إلى فرع البنك بالعاصمة البريطانية، ثم تفرغه مع عدد من زملائه لتأسيس شركة أوراق مالية "صغيرة"، لها علاقات وثيقة بأسواق مصر والشرق الأوسط وأفريقيا، ثم افتتاح فرع لها في مصر عام ١٩٩٧، وبعدها بأشهر افتتح صندوقا مكرسا لمصر باسم "إي.إف.جي"، أسوة بصندوق أمريكي مماثل، ولكن الصندوق المصري تحرك برأسمال ارتفع تدريجيا إلى ٥٤ مليون دولار.

حوار جمال الطويل، الذي توزع بين أنشطته الخاصة ورؤيته للتطورات الاقتصادية في مصر، والمشاكل التي تعرقل قدوم الاستثمارات لها، لم يكن أول ظهور صحفي له.. خارج مصر بالطبع. ففي عدد ١٤-١١-١٩٩٦ من (نجم الأردن)، نجد تقريرا ولقاء سريعا معه عن مؤتمر ضم "٥٠٠" رجل أعمال، من "الدول

الـثلاث" (١).. للتـرويج للسلام في مواجهة تعنت نتنياهو، وستجد إشـارات متنثـرة.. ومتـزايدة تدريجيا له على مواقع اقتصادية ومالية مهمة، منها موقع (نيكي) الياباني.

عـرف جمال بعدها كعضو ثم ناطق باسم (المجلس الرئاسي المصـري الأمريكـي)، الـذي ضـم رجال أعمال من البلدين. وانطلقت التغطية الإعلامية له.. ومعها الحديث عن "الجمهوركية" (٢)، ومـع انتقادات سياسية للفكرة، حسب معهد واشنطن لدراسات الـشرق الأدنـى، شهد سيناريو "التوريث" وقتها تحولات جوهرية بانـضمام جمـال، يناير ٢٠٠٠، رسـمياً للحـزب الحاكم، أو (إن.دي.بـي)، كما تعرفه الصحف الغربية اختصاراً، وبدأ مبارك بتركيز الانتباه على ابنه جمال، فلم يعد يمر أسبوع دون أن تنشر صـوره وأرائـه، غالباً بالصفحة الأولى، لكن (المباركان)، الأب والابن، كررا النفي، ونسب للأب- تعليقاً على عدم تسميته نائباً له - "قـد أخـتار شخص برفضه الشعب"، ولأسامة الباز "جمال لا يجري وراء أي منصب رسمي، إنه شاب يهتم بمستقبل بلاده".

(الحـزب الوطني) الذي أصبح بوابة "الصعود الآلي لجمال" كما وصفه /www.nationalrevew.com comment comment aheri010203 asp في ٣-١-٢٠٠٣، حملـة المـتابعون للقضية بأقسى التوصيفات، تقرير معهد الشرق الأدنـى قـال أنـه "عـارق في عقدين من فساد الحرس القديم.. والقـصور الذاتـي"، مـضيفاً.. وحتـى لـو "التزم جمال بوعود الإصـلاح، سـيحتاج جهوداً جبارة، تتطلب فريقاً كاملاً". وقالت

ديلـي ستار.. "أنه لم يخلق متماسكا فكريا، يصور نفسه اشتراكي أحـيانا.. ورأسـمالي أحـيانا، إسـلاميا وعلمانيا في آن واحد"..

فــ"الحــزب الذي يدعي أن عضويته ٤،٦ مليون، يجذب عوائل ريفـية، تتـنافس مع جيرانها على الرعاية الحكومية، وسياسيين انتهازيين، يريدون فقط مقعد برلماني، أو أصحاب مصلحة، هدفهم صُـناع القـرار، بالتالـي يجـذب القليـل جداً من المؤمنين حقاً بمبادئهم".

توصــيفات الحــزب السلبية كثيرة جداً، على حصان القضاء عليها جاء جمال. والمعركة مع "الحرس القديم" رصدتها الصحف المـصرية، وأشــارت أكثـر مــن جريدة غربية إلى دور بارز لــ(العربـي) الناصري.. وكيف تمت بــ"إيلام شديد للحرس".. بحجــة "جلــب دم وفكــر جديدين للحزب الذي يبدو -حسب ديلي ستار- الأقل قدرة سياسياً بين منافسيه".

فمع نهاية مؤتمر الوطني، سبتمبر الماضي، امتلأت الصحف الأجنبـية بتعلـيقات عن "المذبحة" و"الصعود الآلي". أخذت ديلي ستار مانشيت (العربي).. "نهاية عصر وآلي".. مؤكدة أنه لم يكن مؤتمـرا بقدر ما كان سلماً لتصعيد (الوريث)، وقالت ليبراسيون الفرنـسية "مـصر تتجه لتوريث الرئاسة لأسرة مبارك"، وتحدثت الواشـنطن تايمز عن "الوقت المناسب جداً للقفزة الأعظم لجمال"، مُـستندة فـي إحـدى فقـراتها لقـراءة (العربي)، التي وصفتها باليسارية، لنتائج المعركة.

أسفرت المعركة عن انتصار "مجموعة جمال" [١]، نذرا أسمائهم على موقع /www.recnet.net
/home/spreporticgy.htm، ممدوح البلتاجي، زكريا عزمي، يوسف بطرس غالي، محمود محي الدين، نادية مكرم عبيد، حسين كامل بهاء الدين، ورجل الأعمال أحمد الزيات، وعضوا مجلس الشعب هشام عواد، وحسام بدراوي.. وعلي الدين هلال.. أو "دسوقي".

علي الدين هلال أو (دسوقي)، رأت نيويورك تايمز في ٣-١٠-٢٠٠٢، أنه "المعبر" عن الفريق الجديد.. أو أنه هو نفسه "المجدد"، قال لها: قدمنا مبادئ ودم جديدين في المؤتمر. دسوقي سخر من المطالب الأمريكية بتصدير الديمقراطية، واصفا (كوندوليزا رايس) -مشوحا- بـ"إنها تحلم".

محررة النيويورك أسندت لدبلوماسيين غربيين وصفها لدسوقي بأنه "منظر الدم الجديد"، والمعلم السياسي لمن يُنظر إليه على نحو متزايد كـ"وريث"، مشددة على أن ما حدث "مجرد تزيين لنخبة جديدة من جيل أصغر".. و"أنه لا حديث عن ديمقراطية حقيقية أو عن إصلاح فاعل".

دسوقي دافع بأنهم يسيرون "نحو طريق ثالث للحزب، كجسر بين الحزب بطرازه القديم والراديكاليين"، مشيرا إلى لجنة خاصة لمطاردة الفساد بالحزب يرأسها القاضي (عادل قورة). المحررة تركت تصريحات دسوقي، وعادت إلى الدبلوماسيين الغربيين،

الذين قللوا من أهمية الحديث عن التجديد والانفتاح الاقتصادى، لأن "المناخ السياسي العام يظل قمعياً".

جمال، الذي رأت الواشنطن تايمز أنه أكتسب بعض الشعبية من معركته مع فساد الحرس القديم، وصفه تقرير لصوت أمريكا بأنه يمثل مصالح رجال الأعمال، في حين قال لها (أحمد الزيات)، صديق جمال، والذي اختير معه ضمن "زعماء العالم القادمين".. أن "مصر ليست ملكية".. و"الرئيس مبارك كما أعتقد ضد التوريث".. ومع ذلك "أعتقد أن جمال زعيم عظيم".

في المقابل رأى (تيم سوليفان) الأستاذ بالجامعة الأمريكية أن "جمال لامع جداً، وشاب لبق".. لكنه "يجب أن يأتي عبر انتخابات حزبية، ليكتسب أوراق اعتماده السياسية". تيم رأى أيضاً أن "مصر ليست من جمهوريات الموز، ولن يكون التوريث مثل طرقعة الإصبع.. فهو يحتاج لكفاح مُريديه".

هل جمال أت.. أت.. كما يُصر البعض؟. سؤال شغل من كتبوا عن "القضية"، فالمسألة لا تتوقف عند تصفية الحرس القديم، كما نبه تقرير معهد الشرق الأوسط، فهناك "مؤسسات حاسمة" في مصر يجب أن تدعمه، وإذا لم تدعمه، بالمرد المعهد بترشيح شخص اخر، قادر على خوض انتخابات الرئاسة إذا تمت بحرية.. (اللواء عبدالسلام محجوب).. "الحاكم الناجح جداً للإسكندرية".

بسرعة

•• بالطبع، المقالات والدراسات لم تكن لتتيسر لنا سوى مع حملة موقع (مصريات) www.masreyat.org، الذى دشن الاستفتاء على ما أسماه "التوريث"، ثم تضامن معه موقع (محاورات المصريين) www.egyptiantalks.org والذي عاد بعد إغلاقه لمناقشة ذات القضية، ليكشف أن (إبراهيم الدسوقي).. القيادة الوفدية البارزة، كان وراء عودته عملاً بحرية التعبير عن الرأي.

•• أكثر من موقع تشجع لمناقشة الفكرة، منها موقع الأخوان www.ikhwan-info.net، الذي لم يل على (محاورات) إنه أغلق باب مناقشتها، وأوضح مشارك اخر بأنه مازال مفتوحاً. واكتفى موقع (الممنوع) www.gn mamnoo3.com/mamnoo3٤ الذي يشرف عليه (عمرو أوديب) بإعادة نشر ما نشرته (العربي)، واختفى الموقع تماما بعدها.

•• ١٥٠٠، شاركوا في الاستفتاء على موقع /http://www.petitiononline.com mod_perl/signed.cgi?ourEgypt، علانات كاملة "صوتت" بالرفض، وشخصيات عامة، منها الشاعرة عليه الجمار والفنانان هاني سلامة ومحمد منير.. والزميل جمال فهمي.

** (مصريات) نظم استطلاعا موازيا، رفض ٩٢% من المشاركين فيه فكرة التوريث.

٢٠٠٣-١-١٢

هوامش

(١) قُــتل حرس مبارك فيها مواطناً قيل أنه كان يرفع سكيناً، وتبين من التحقيقات أنه كان يرفع ورقة/ شكوى لتقديمها إلى مبارك.

(٢) "أشــباه الأخــبار" التي أحاطت بالحزب المُجهض ولكنها ضمت خليطاً عجيباً من ناصريين وليبراليين ومستقلين!.

(٣) أصــبح مفهــوماً أنها للمؤســسة العسكرية. في ٧ سبتمبر ٢٠٠٨ كــتب الــزميل عــبد الله السناوي تقريرا خطيرا بجريدة العربي عن لقاء "عــصبي" جمــع المشير الراحل عبد الحليم أبو غزالة بمبارك الأب عقب إعــلان الأول نيــته المنافــسة في إنتخابات ٢٠٠٥ الرئاسية، وشهد اللقاء تحذيــر صريح من رفض المؤسسة الوطنية لسيناريو التوريث وخطورته على إستقرار البلد.

(٤) أثار حوار هيكل مع الزميل عادل حموده ولكنها غضب الرئاسة، حتى أن رئيس تحرير (الفجر) الآن توقع إقالته من منصبه كرئيس تحرير "فعلي" لروزا.. فأخذ أجازة اختيارية حتى طُلب منه العودة للعمل.

(٥) مؤتمــر تطبيعــي ضــم ولــتها رموز سلطة وثروة من مصر والأردن وإسرائيل.

(٦) "الجمهوركــية".. نحت لغوي لــ(د. سعدالدين إبراهيم) في مقال شهير له بنفس العنوان. وقيل على نطاق أنه سبب غضب "العينة" عليه.

(٧) جـرت علـى خريطة زجاج جمال تغيرات متلاحقة، وكاد لن يحتفي منها أصحاب الشعر الأبيض.

تداعيات

صحف العالم تشيد بجرأة (العربي)

فـي شهادة جديدة لصدق شعار (العربي)..`حرية تكفي ألف صـحيفة`، بثت وكالة (أسوشيتدبرس) تقريرا مطولا عن مستقبل الـنظام الـسياسي في مصر والاستفتاء على توريث الرئاسة عبر الإنترنت، مشيرة إلى أن (العربي) هي الجريدة المصرية الوحيدة[1] التـي اختـرقت أسـقف المحاذير السياسية وتعرضت لقضية وصفتها بـ`الحساسة`.

التقريـر الذي تماس` مع فقرات مطولة من التقارير الثلاثة التـي نـشرتها (العربي) المقطتة `صحف العالم`- بدون مبالغة- وأعـادت نشره، من بينها (هيرالد تريبيون) [2] و(هيرالد ميامي) و(ديلـي سـتار) و(الجارديـان) و(هآرتس) الصهيونية و(إيطاليا اليوم) الناطقة بالإنجليزية و(البايس) أبرز الجرائد الأسبانية. ومن هـونج كـونج إلى صحف عربية، فضلا عن بث التقرير وصور فوتوغرافية لتقارير (العربي) على مواقع الإنترنت.

العربي ص ١ عدد١٩-١-٢٠٠٣

هوامش

(١) رأى محكمو "جائزة الانفراد" بنقابة الصحفيين أن الملف جدير صالح للفوز بها عام ٢٠٠٤، وذهبت الجائزة لابنة (مفيد فوزي) عن حوار لها مع (يوسف السباعي) نشر في (نصف الدنيا)، التي كانت ترأس تحريرها (سناء البيسي). البيسي كانت من بين المحكمين.

(٢) وثائق: تقرير الوكالة كما نشرته (الهيرالد تريبيون).

أول نفي من مبارك للتوريث. (١)

أكد الرئيس مبارك أنه لا توريث للحكم، ووصف فكرة التوريث بأنها شائعة ظهرت وألفها بعض الناس وصدقوها.

وقال الرئيس مبارك في حديث تليفوني للإذاعي (عمر بطيشة)، بثه التليفزيون على قناته الأولى، إن نظام مصر جمهوري، لا توريث فيه للحكم، ولا توجد أساسا فكرة لهذا الموضوع.

وأشار الرئيس مبارك، الذي تعرض لوعكة صحية خلال إلقاء كلمة أمام مجلس الشعب أواخر العام الماضي، إلى أنه يتمنى ظهور العديد من الشباب حتى تكون هناك قاعدة عريضة لخدمة المجتمع في كل المجالات.

أول يناير ٢٠٠٤ م

هوامش

(١) نقلاً عن موقع هيئة الاستعلامات.. ووكالات الأنباء.

الجمهوركية

صحافة التوريث

للمعارك أسلحتها المختلفة.. منها الإعلام وفي القلب منه الصحافة. ومن المعارك ما هو بالنسبة لنا "فخار يكسر بعضه".. كما هي بين الحرس القديم وفريق التوريث.

في تغطيتها لزيارة جمال مبارك الأهم لواشنطن - يوليو الماضي - توقفت (سمدار بيري) محررة الشئون العربية عامة والمصرية خاصة بـ(يديعوت أحرنوت) عند مشاركة الصحفيين (أسامة الغزالي حرب) و(عبدالمنعم سعيد) في الوفد المرافق لنجل الرئيس، وبعدها بسطرين تحدثت عن زعماء عرب أعدوا أبناءهم لخلافتهم، مُستطردة: لكن في مصر العملية مختلفة.. يعدون (جمال) من الأسفل ليسلم ملايين المصريين بالأمر الواقع، بواسطة الصحافة المؤيدة.

وفي رصده لمعركة تكسير العظام بين الحرس القديم وفريق التوريث، ينقل موقع (إيلاف) المؤيد بشدة لـ"الليبراليين الجدد" الأسبوع الماضي، شكاوى "الفريق" من أن وزراء ومسئولين كبار من الحرس يحرضون صحفاً مختلفة على ملاحقة أعضاء الفريق على صفحات الجرائد.

وبالتوازي مع تدرجات صعود جمال الإعلامي والسياسي، تابعنا مئات المقالات التي تنظر له.. لرؤاه المستقبلية (!!)، ومنذ أشهر انترنت عبارة "المفربة لجمال مبارك" بصحف حديثة الصدور نسبياً. وفي أحد اجتماعات لجنة السياسات شن جمال هجوماً حاداً على جريدة (مايو) في حضور رئيس تحريرها (سمير رجب).. وقيل إنه وصفها بأنها "نشرة ما يصدرها تلامذة بمدرسة"، ثم كرر هجومه بصورة أخف رداً على تصريحات لـ(صفوت الشريف)[1] للجريدة منتصف مايو الماضي، وهو ما أعتبره كثيرون مقدمة للتخلص من الجريدة، التي قيل إن جمال أخذ منذ لحظات صعوده الأولى موقفاً سلبياً منها.. ومن اسمها.

و(مايو) والمؤسسة الصحفية التي يرأس مجلس إدارتها وتحريرها سمير رجب.. (دار التحرير)، أخذت موقفاً ملفتاً من أخر حلقات تكسير النظام، فلم تنشر أياً من مطبوعاتها خبر ترشيح صفوت لرئاسة مجلس الشورى حتى انتخابه فعلاً، لكن سمير نفى لنا ذلك، وأرسل لنا ثلاث نسخ من مايو والجمهورية تتحدث عن ترشيح رئيس جديد للشورى بدلاً من مصطفى كمال حلمي.

قلت لـ(رجب): لكنك لم تذكر الاسم صراحة. رد.. ومن ذكره؟!. أشرت له لعدة صحف قومية ومستقلة، فعلق.. ذكرناه يوم ترشيحه.. في الطبعة الثانية.

سمير نفى غضب جمال على مايو، مشيرا إلى تأكيده أكثر من مرة على تطورها.. وإثارتها الهادئة وبموضوعية للقضايا المختلفة. سمير، الذى يكمل عامه الخامس والستين فى ٨/٢٥ المقبل، نفى تماماً أية نية لدى أصحاب "الفكر الجديد" للتخلص من مايو، أو أن تكون (المستقبل الجديد) منافساً أو بديلاً، وإن لم ينف صلتها بالحزب.. قائلاً: "طب ما (الأحرار) بيطلع عشرين جريدة"، مشيراً إلى أنه وافق بخط يده على رئاسة (محمد أبو الحديد) [1] من (الجمهورية) لتحرير (المستقبل الجديد). بينما كنا نتحدث كانت (الجمهورية) تنشر في صفحتها الأولى الثلاثاء الماضي، التهنئة الأولى والوحيدة لـ(الشريف) على ثقة (مبارك) وتوليته رئاسة الشورى.

لم تتفرد الإصدارات التى يقودها سمير بعدم نشر ترشيح ولا اسم صفوت للشورى، فـ(نهضة مصر) التي يصفها البعض بـ"المقربة من جمال"، أو من لجنة السياسات لم تنشر هي الأخرى، لكن الأسباب مختلفة.. بل إن أحد أعدادها توقف طبعه بالأهرام منتصف الليل لتغيير المانشيت الذى يتحدث عن ترشيح صفوت واضطرت إدارتها لتغييره والابتعاد عن القضية كلها.

غير أن رئيس تحريرها التنفيذى (محمد حسن الألفي) [2] يستبعد أية علاقة مباشرة للشريف بـ"التضييق" على (نهضة مصر) كجزء من الصراع داخل النظام قائلاً: هذا تصرف ينطوي على حساسية موظف في رقابة المطبوعات بوزارة الإعلام أراد أن يجامل وزيره، وهو تصرف نتفهمه ونقدره.. رغم تعرضنا

لأذى نفسي ومهني كبير. فالكل ينشر سوانا، رغم أننا كان لدينا القصة كلها. الألفي حرص هنا على التعبير عن احترامه للشريف ودوره في تسهيل صدور نهضة مصر.

في سياق المعركة، وقبلها، نشطت كتابات وصحف أخرى دعما لما يسمونه "الفريق الإصلاحي"، ففي (روزا اليوسف)، ومنذ عامين تنافس مدير تحريرها (كرم جبر) [٢] ونائب رئيس تحريرها (عبدالله كمال) [٥] على تغطية أنشطة.. وللترويج لفريق جمال، ولإصلاحه القادم لا محالة، في الحزب.. وفي الدولة.

كرم وعدنا بالحديث وحدد أكثر من موعد واتصلنا.. بلا مجيب. بينما على مواقع النت التى تقاوم التوريث تطارده عبارات حادة بعضها يسخر من وصفه لجمال.. بأنه عمل لسنوات مثل أى شاب مصرى.. حتى وجد عملاً فى بنك بعد طول شقا، وسخرية أخرى من (حسنين كروم) في (القدس العربي) من "الشباب الذى نزل بالباراشوات".

عبدالله كمال بادرنا بالهجوم.. فقضية التوريث نحن افتعلناها لنبتز البرنامج الإصلاحي بإطلاق سحب دخان، ونهدر الحقوق الدستورية لمواطن هو "السيد" جمال مبارك-لاحظ تسييده له- استناداً لصفته العائلية.

عبدالله أشار لنا إلى تأييده لأى فكر إصلاحي عبر كتاباته في (روزا) بصفتها مجلة مستنيرة سواء كان سياسياً أو إقليمياً، صادر عن الوطني أو المعارضة.. التجمع مثلاً أو عن مكتبة الإسكندرية. وذكرنا بنفي مبارك "أية نوايا للتوريث وتهليل

(العربـي) لنفسـه.. ثـم عـودتها لإثارة القضية"، مؤكدا أنه ضد التوريث، وفي نفس الوقت يدرك أن "السيد" جمال "طاقة محركة ورؤيـة جامعة لبرنامج جيل كامل"، متهما المعارضة بعدم طرح رؤى بديلـة لما يطرحه الإصلاحيون والاكتفاء بمطالب هلامية، بينما "السيد" جمـال نجح خلال أربع سنوات في أحياء الحزب الهش ولن يمـلأ السـاحة. (عبدالله) نفى أيضاً وجود توجه بين صحفيين أو صحف لتأييد الفريق الإصلاحي، فمن وجهة نظره أن هذا الجيل الإصلاحي يفتقد الإعلام الذى يعبر عنه.

مـن الصحف التى طالتها اتهامات "المقربة من".. (المصري اليـوم)، الممولة من مجموعة رجال أعمال.. الطبقة المتحالفة مع الفـريق الإصـلاحي/ التوريثي، واستمرار جمال في تأثيره على الحكـم استمرار لمكاسب حققتها الربع قرن الأخير. والمصري اليوم تحديـداً، ومنذ أول أعدادها شنت حملة ضد الشريف، في اختـراق لخـط أحمر معروف، حتى قبل "تنتقد مبارك ولا تنتقد الشريف"، واستمرت حملتها.. قبل وبعد ترشيحه للشورى، وكأنها تـشارك في التمهيد للإطاحة به، كما أن الجريدة التى اقتربت من الرئاسـة، فـى عدة مقالات وفي مانشيت وحيد، لم تقترب بحرف من التوريث.

هـل نفـتش فـى الضمائر كما اتهمنا عبدالله كمال؟. حملنا تساؤلاتنا إلى (أنور الهواري) [9] رئيس تحرير (المصري اليوم)، اتـصلنا أكثر من مرة، والخميس الماضى حولونا على مكتبه لنجد إجابة حاسمة "يا أستاذ أنت تركت فكرتك وكلامك ودخلناه للأستاذ

أنور.. وهو ما قرر بن يرد لحد دلوقت". حاولنا التعليق فجاء الرد مسع "زهسق".. يعني أنا عارف الموضوع أهو.. ح نبقى نتصل بك".

مسع (نهسضة مصر) تتزايد الاتهامات، لكن رئيس تحريرها التنفسيذي محمد حسن الألفي رد بأن الجريدة "ليست مملوكة لأي شسخص ولا لأية مجموعة.. مالكها الوحيد هو القارئ، ولا نسعى للتعبير عن فئة بعينها أو تمكين شخص بعينه". قلت له لكنها تظل مملسوكة للإعلامسي (عماد أديب) [٢] الذى يرأس تحريرها، وهو الوحسيد السذى طالسب صراحة بتعيين جمال نائباً؟. الألفي طالبنا بسسؤال (الأسستاذ عمسساد) عن رأيه، مضيفاً.. "كرئيس تحرير لم يُطالسب منسي في أي وقت ممالأة مركز أو شخص.. أو الانحياز لستوجه معسين، نحن متفقون على سياسة تحريرية تنحاز لمصالح السناس وللمسستقبل.. لأن البلد شاخت، وهو ما انعكس على عقم الخيال والفشل في إيجاد حلول لمشكلات مصر".

قلت له: لكن هناك كتابات واضحة الدلالة لمن يحسبون على فريق التوريث مثل (محمد كمال) و(عبدالمنعم سعيد)؟. فأجاب: لم أشسعر مسن كستاباتهما أنهمسا يعبران عن ذلك، هما يكتبان عن تسوجهات رأيا أنها تصب فى مصلحة بلدهما.. وكيفية التعامل مع المسستقبل. وتساءل: تنادون بالحرية وتطالبون بمنع الأخرين من الكستابة؟!. ثسم إن (نهضة مصر) تنشر فى نفس الوقت توجهات ورؤى متباينسة.. بعضها ينتقد توجهات (كمال وعبدالمنعم).. هذه هى الليبرالية الحقيقية.

لكـــن هذا الشعار نفسه جلب على (نهضة مصر) الانتقادات، ففـد ارتبط الليبراليون الجدد بالتوريث.. وبأشياء أخرى. (الألفي) نفــى تمامــا تأيــيد الجــريدة لــتوريث "جمال مبارك أو جمال عبدالناصر. أو أي جمال".. على حد تعبيره، مستطردا نحن دعاة تحــديث لا توريث. وذكرنا بأن (عماد أديب) أصدر قبل أكثر من عــشر سنوات جريدة (العالم اليوم) التي تدعو لليبرالية الاقتصادية التــي يؤمن بها. والآن أصدر جريدة تعبر عن الليبرالية السياسية، التي أيضا يؤمن بها.

الموقف مع (المستقبل الجديد) مختلف، فرئيس تحريرها يؤكد فــي الناحــية الخمــيس الماضــي.. "الجــريدة معبرة عن لجنة الســياسات.. ولا أعرف ما الذى يزعج فى ذلك". كان محمد لهو الحديــد يعلق على تقرير نشرته (العربى) الأسبوع الماضى دون أن يــسميها، رافــضا تصنيف البعض للمستقبل وفقا لهواه.. وأن يضعها فى خانة ثم يبحث عن أسانيد لهذا التصنيف".

قــبلها بيومــين نفــى لنا أية علاقة له بـ"اللجنة"، مؤكدا أنه والــصحفيون العاملون معه لا علاقة لهم أصلا بالحزب. واتهمنا مثل عبدالله كمال بـ"أنتوا اللى طلعتوا حكاية التوريث.. ده عندكم بــس". ســألته عن تشابه الاسم مع (جمعية جيل المستقبل).. التي يرأسها جمال؟. فقال: وايه يعني ما فيه جريدة (المستقبل) اللبنانية، موضــحا أن ترخيص جريدته للدني ولا علاقة لها بالجمعية، وأن التشابه بينهما ينحصر فى الاهتمام بالمستقبل والإصلاح والشباب.

قلت له.. هل انحصروا في شخص جمال؟. فأجاب.. ده تطور طبيعي، ماهو ماسك أهم لجنة في الحزب الحاكم، ومنها تمر كل السياسات.. المهم يفتح طريق للشباب.. واللي عنده حد بديل يورينا.

سألته كيف وكل شيء في أيديهم.. فلم يجب. عندما سألته عن تمويل الجريدة وعن اتهام البعض لها بأنها صدرت عن مجموعة رجال أعمال لا علاقة لهم بجمال ويتمسحون به، طلب مني سؤال رئيس مجلس الإدارة (أحمد رشدان).

حول مقر المستقبل الجديد بعمارات عثمان خلف الميرلاند، حراسة أمنية مشددة، وفي المداخل كاميرات مراقبة.. ففي نفس البرج مكتب لـ(جمال أو علاء) [1]. سألت رجل الأعمال أحمد رشدان عن تمسحه بمجموعة السياسات؛ فلم يغضب. قال: "ح أتقرب له ليه؟.. جمال موش اللي بيرزق.. كل اللي عاوزينه إننا نربط الشباب بالسلطة.. الشباب عاطل ضايع، ده بيفقده انتماؤه لبلده".

قلت له والاسم والمقر؟. قال الاسم عادى والمقر صدفة.. أملك ثلاثة أدوار بالبرج.. وصدفة أن مكتب فلان أو علان فيه.. ثم أنا ما أعرفش إن كان له مكتب هنا أم لا؟. ثم جمال ماله؟.

اشمعنى جمال؟. أجابني: اللي نعرفه أحسن من اللي مانعرفوش، وليه نظلمه.. لأنه ابن الرئيس، ليه ما نجردوش من صفته العائلية ونحكم عليه.. هو أثبت نجاحه.

قلت له: لكن غيره واللي مانعرفوش لم يأخذ فرصته؟. فقال: موش عاوزين ضغاين بين الأحزاب. (!)

علامات التعجب من عندنا. (رشدان) رفض إمكانية "الورث" المفـــردة له، خلافاً لسوريا. لأن التيارات السياسية في مصر، من وجهة نظره، أقوى من (جمال).. ولن تسمح بـ"الورث".

رغـــم ذلك فجر (رشدان) قنبلة، لو صدقت، كدليل من وجهة نظره على صدق التوجهات الإصلاحية. قال: الرئيس لما يرجع[٩] ح يـدعم كــل التـيارات، وح يـشكل حكومة ائتلافية، وح يعين معارضـــين كمحافظـــين.. وكمان ح يستقيل من رئاسة الوطني.. ومين غير (جمال) يقدر يمسك الوطني.

سألته دي معلومات مؤكدة؟. فقال.. بل توقعات.

وربمـــا كانـــت تسريبات أو بالونات اختبار لجس النبض.. فنحن في يوليو[١٠].

٢٠٠٤-٧-٤

هوامش

(١) توافرت تقارير متابعة للتغيرات الصحفية الأخيرة على أن (الشريف) كان يفاضل، دون جدوى، لاستثناء (رجب) منها. لكنه ظل رئيساً لـ(مايو) حتى أزيح منها واستبدلت بـ(الوطني اليوم).

(٢) أصبح رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير بدلاً من (رجب).

(٣) ترك نهضة مصر ليرأس تحرير (الوطني اليوم) التي حلت مكان مايو كناطقة باسم الحزب الحاكم.

(٤) تولى رئاسة مجلس إدارة روز اليوسف.

(٥) تولى رئاسة تحرير روز اليوسف.

(٦) فيما بعد تولى رئاسة تحرير الوفد، كان رافضا بشدة لاحتجاب الصحف احتجاجا على حبس رؤساء التحرير وسخر من المحتجبين، استقال من الوفد نهاية يناير ٢٠٠٨.

(٧) أجرى فيما بعد الحوار المثير للجدل مع مبارك (كلمتي للتاريخ)، وقاد الحملة الإعلامية لمبارك كمرشح للرئاسة.

(٨) "مكتب" جمال يحتل الدورين (١٩ / ٢٠) بأحد أبراج عثمان، ونشرت (الغد) أنه تكلف للتجهيز والتأمين "٨٨" مليون جنيه تحت إشراف المهندس (إسماعيل عثمان) ووزير الإسكان (إبراهيم سليمان).

(٩) كان مبارك يعالج وقتها بألمانيا.

(١٠) ترددت وقتها أقاويل عن عرض قدم من فريق جمال لأسماء ذوي سياسية بارزة، لتعد بوزيته مقابل حزمة إصلاحات، منها الإخوان.

انتعاش لوبي التوريث

تبدو المشادة التي شهدتها ندوة "واقع الإعلام العربي" ونظمتها هيئة الإذاعة البريطانية الأربعاء الماضي، خير دلالة على ما تشهده مصر، الزميل (أنور الهواري) رئيس تحرير (المصري اليوم)، أحدث الإصدارات الصحفية، يدخل في النقاش محتداً.. عن "الفساد المستشري.. وافتقاد البلد للقدرة على إنتاج الأخبار.. و..."، ويرد عليه نقيب الصحفيين الأسبق ورئيس تحرير (المصور).. (مكرم محمد أحمد) [1] متجاوزاً، عن الجانب السياسي في انتقادات الهواري، ومركزاً عما وصفه بـ"الجانب المهني" في (المصري اليوم)، مشيراً إلى سبعة أخبار بصفحتها الأولى رآها خطأ كلها.. خاصة ما يتعلق بتولي (ممدوح البلتاجي) وزارة الإعلام.. بينما المؤكد منذ الإقالة التمهيدية لـ(صفوت الشريف) أن (فاروق حسني) سيتولاها مؤقتاً.. وأثناء تحليله كان الهواري يقاطعه محتداً في نقاشه. انسحب مكرم، ليوجه الهواري رصاصاته إلى الأستاذ محمود المراغي [2] على المنصة!.

ليس مجرد صراع أجيال.. وليست مجرد لقطة في الهواء. كان مكرم محقاً في انتقاده المهني.. خاصة ما يتعلق بالبلتاجي،

وللهواري وكل صحفي مصر كل العذر أمام غياب الشفافية، وتعمد النظام التعتيم لتضليل الرأي العام.. وفي القلب منه الإعلام، ليمتلئ هواء القاهرة بتكهنات وإشاعات.. وأقاويل.. وأشباه الأخبار.

أثقل ما في هواء القاهرة ما حدث لأبرز أقطاب الحرس القديم.. كانت مفاجأة بكل المقاييس، فالشريف كان المرشح الأول لرئاسة الوزراء.. حتى لو اعتبر البعض ترشيحه "استبعادا لفوق".
فقبل أيام من تسرب خبر إقالته، تحديدا في ١٧/ ٦، كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية تبث تصريحات نقلها عنه رئيس التحرير محفوظ الأنصاري [٣].. انه عرض على الرئيس صباح أمس تقريرا تفصيليا، حول نتائج اجتماعات عقدها الأسبوعين الماضيين مع (عاطف عبيد) وعدد من وزرائه، لمناقشة ما يتعلق بتقييم السياسات التي تضمنتها أوراق مؤتمر الحزب الوطني ٢٠٠٢، ونقلت الوكالة الرسمية.. "أنه عرض على مبارك ما استقر عليه رأي الحكومة والحزب بالنسبة لتعديلات قانون الملكية".

في نفس اليوم.. وفي ذات السياق صرح الشريف لـ(الشرق الأوسط) اللندنية.. "عرضت على الرئيس ملفات الاجتماع العادي لمجلس الوزراء منها تعديلات قانون الجنسية، وسبل حل الخلاف بين القوات المسلحة والشرطة حول القبول بمعاهد وكليات الشرطة والقوات المسلحة، وتعديل القرار لحرمان المتجنسين من الالتحاق بها". وقال الشريف إن الرئيس كلفه بالدعوة إلى اجتماع

اليوم مع رئيس الوزراء وأخرين لمناقشة ورقة المواطنة التى أقرها الحزب فى المؤتمر الماضي، كدستور لتعامله مع المواطنين. بعدها خرجت (الخميس) المغربية من الشريف بخبر قصير على صفحتها الأولى، اقتصرت كلماته على اجتماع الشريف مع مبارك لثلاث ساعات.. ولأن الاجتماع تعلق بالتغيير الوزارى المُنتظر.

هكذا.. تصريحات وتكليفات رسمية تنشرها الوكالة الرسمية عن مهام للشريف تتجاوز رئيس الوزراء.. كانت الإشارات واضحة.

غير أن للاتجاه المُخالف إشاراته، التي ازدادت يوماً بعد آخر، منذ مانشيت الأهرام الشهير ١٨/ ٦.. أي اليوم التالي لتصريحات الشريف، والذى صاغ تقريره إبراهيم نافع [٤] رئيس تحرير ومجلس إدارة المؤسسة الصحفية الأكبر، وأكد فيه أنه من المنتظر أن تغيب وجوه كثيرة عن الحكومة فى تشكيلها الجديد "خاصة الذين أمضوا فترة طويلة فى مناصبهم".. وقتها لم يتوقع أحد أن الإشارة تطال الشريف، لكن (روزا اليوسف) في عدد١٩/ ٦ نشرت تقريرين ممن يدعمان فريق التوريث[٥]، عنوان أحدهما "فريق التطوير يضرب ضربته الكبرى في أكتوبر المقبل".

أعلن قرار الإقالة أو ترشيح الشريف لمجلس الشورى، وقبلها بساعات روى زملاء كيف دخل الشريف المجلس في منتهى السعادة يوم الأحد، حتى أن عبيد "إنهز" على حد تعبير أحد الزملاء.

أعلن القرار لندخل في دوامة "ما يتردد". أولها.. وخلافا للبيانات الرسمية أن الشريف علم بالقرار عبر وسيط، وأنه ظل يحاول الاتصال بالرئيس دون جدوى حتى عصر الأحد، وأنه طلب من البعض تأجيل نشر القرار لأنه متأكد أن وصوله للرئيس سيعني إلغاء القرار. وهو ما فعله سمير رجب. و"تردد" أن مشادة كلامية وقعت بينه وبين جمال مبارك.. بينما المؤكد أن جمال كان وقتها بجوار والده. و"تردد" أن وراء الإقالة أن الشريف خرج من لقائه مع مبارك.. و"علق بما لا يجب ترديده أمام مقربين إليه".. وهي واقعة مُستبعدة، سواء لعمق العلاقة بين الوزير والرئيس.. أو لحنكة (الشريف). و"تردد" أن الشريف اقترح إعلان التشكيل الوزاري قبل سفر الرئيس للعلاج وأن يحلف الوزراء اليمين أمامه وهو جالس على كرسيه.. الاقتراح أشار إليه سمير رجب في مواصلة، وهو ما كان رد فعله قاسياً على البعض.. عاطفياً [٩].

أقوى "ما تردد" أن الإطاحة بالشريف هي التدشين الحقيقي لسيناريو التوريث المُجمد، وترددت تحليلات رغم نفي مبارك الصريح، ورغم اتفاق المراقبين الأجانب الذين تابعوا احتمالات الخلافة الأيام الأخيرة على تراجع فرص جمال بشدة.

وإذا كان كاتبان بحجم (سلامة أحمد سلامة ومحمد سيد أحمد) في الأهرام والأهالي قد التقطا، بعد الإطاحة بصفوت، دلالة توقيت صورة جمال على "النيوزويك" مع عنوان عن مستقبل مصر، وتأكيد سيد أحمد على أنها رسالة لـ"فريق جمال" للتحرك، فإن الكاتب المصري المقيم في لندن (محمد عبدالحكم دياب) رصد

في (القدس العربي) ١٩/ ٦ وقائع صدام علني على صفحات الجرائد بين (جمال وصفوت)، رآه مبرراً للإطاحة بوزير الإعلام القوي.

دياب تحدث عن سر العودة القوية لجمال إلى الضوء بعد غياب أسابيع، وعن أن عودته قوبلت بتصريحات قوية من الشريف لجريدة (مايو) [٢]، وهو المرشح من بقايا الحرس القديم لرئاسة الوزارة، وأن التصريحات محاولة لسحب البساط من تحت أقدام "الابن". بتأكيده أن قرار التغيير يملكه مبارك.. لا أحد غيره".. يقصد أن (جمال) لا شأن له بالتغيير. يواصل دياب "عندما نتابع مؤتمر جمال الصحفي للرئيس الموازي والوريث المؤجل – وفقا لتعبير دياب – عن استعدادات مؤتمر للحزب في سبتمبر المقبل، نرى الوجه الآخر للصورة، فجمال يشدد على أن أمانة السياسات هي المعنية بالسياسات العامة، ويقلل من أهمية مايو، وهو ما فُسر باتجاه لإلغاء صحافة الحزب".

لا يهمنا – الآن – تقييم دياب لـ "الابن" ورؤاه من دعم الفقراء بصفته رجل أعمال وابن الخبرة المصرفية الأمريكية، ولا رصده لأبرز الأسماء المحيطة بسيناريو التوريث، ما يهمنا، هو "ما يتردد" عن أن نقل الشريف إلى الشورى ليس سوى مقدمة لتصعيد جمال أميناً للحزب، فلا يصح سياسياً أن يكون أمين عام الحزب الحاكم هو نفسه رئيس اللجنة التي تجيز وترفض الأحزاب بصفته رئيسا لمجلس الشورى. وإن إطاحة الشريف مقدمة لتصفية باقي الحرس القديم والإتيان بـ "فريق جمال" على كل المستويات، وهو

مـا حـدث في تعيينات مجلس الشوري، التي شملت ستة أسماء، صريحة في انتمائها لفريق التوريث، أبرزها محمد كمال [1] الذي سـافر لواشـنطن بـصحبة أسامة الغزالي حرب ـ ثم للتجديد له بمجلـس الـشورى ـ عقب مؤتمر الإسكندرية للإصلاح لمناقشة وثيقته مع دولارات أمريكية. كمال جلس على منصة مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية بصفته أحد أصغر عضوين بالمجلس.

صيغة وشكل جلوس محمد كمال على المنصة يشيان بتركيبة فريقه. كان أقل ما يوصف به أنه "خفيف". تعليقاته ـ التي حذفت فـيما بعد ـ اخترقت أسماع الناس عبر البث على الهواء.. خبط علـى يد مدير الجلسة الذي هو أكبر الأعضاء سناً وسأل: "هو ده مـن الحـزب". يقصد ناجي الشهابي رئيس حزب "الجيل"، وبعد دقائق رآيناه يضحك ساخراً، وهو مازال على المنصة ويشير على شـخص ما. وتصادف وقتها أن الكاميرا كانت تتابع حلف وزير السياحة ممدوح البلتاجي ـ متأففا ـ ليمين العضوية. للتأفف كان واضـحاً أيضا على صفوت الشريف خاصة بعد مفاجأة ترشيح د. أسامة شلتوت [2] لنفسه ضده على رئاسة المجلس.

صيغة وشكل جلسة كمال التي تستعيد صورة وأسلوب كمال الـشاذلي، اتـسقت مع هجمة واضحة وفجة الأسبوعين الماضيين لفـريق الـتوريث، فأحـد أبرز مُنظريه، عبدالمنعم سعيد، طالب ضـمن التغييــرات المـتوقعة، بأن تتولى المجموعة الجديدة في الحــزب "تطبيق برنامجها لبيع كل ما تملكه الدولة من مؤسسات ومـصانع في مدة خمس سنوات.. ولا تزيد على عشر، وبتصفية

الجهاز الإدارى للدولة، ولأنه لابد من الإعلان عن نظام رأسمالى سافر.. وعلى الجميع الانصياع لذلك".. كتعبيره الحرفي.

شكل جلسة (كمال) التي تكشف انتعاش فريق التوريث، طبقتها بصورة سافرة جريدة (المستقبل) الناطقة شبه الرسمية باسم "الفريق" في عددها الرابع بمانشيت أكثر فجاجة.. "بعد الخطوة الأولى".. أي الإطاحة بصفوت أقوى رجال الحرس القديم.

يقول المانشيت.. "الخطوة الثانية فى خطة التطوير ــ جمال مبارك يقود الوطنى فى المرحلة المقبلة". وتحته صورة على اليمين بالألوان لمبارك تقابلها على اليسار صورة لجمال بنفس الحجم. جمال ظهر فى "بروفيل مُخدوم". كما أعتقد من اختاروا الصورة. على وجهه نظارة أمريكاني "لاكلايه".. والطريف ــ بالطبع صدفة ــ أن زجاجتى النظارة انعكست فيهما سجاجيد التشريفة الحمراء.

تفاصيل المانشيت تقول "مصادر (المستقبل) رشحت جمال مبارك أمين السياسات، رئيس المجلس الأعلى للسياسات وعضو هيئة مكتب الأمانة العامة للحزب الوطني لقيادة الحزب في المرحلة المقبلة، وتحمل مسئولية عملية الإصلاح السياسي والاقتصادي بالتعاون مع الحكومة، وفقا لما يتخذه المؤتمر السنوي المقبل للحزب من قرارات، وما يقره من رؤى وسياسات. وأن تولى جمال قيادة الحزب يمثل تطوراً طبيعياً فى مسار العملية السياسية الحزبية التى بدأها الحزب بزعامة مبارك في المؤتمر العام سبتمبر ٢٠٠٢، والذي طرح فيه الحزب شعار فكر جديد

تعبيراً عن الفريق الاصلاحي الذى يتزعمه جمال ممثلا لجيل كامل جديد فتح له الطريق للمشاركة في القيادة وتحمل المسئولية.

وأضافت المصادر أن طرح الفكر الجديد، وإعادة هيكلة الحزب واستحداث أمانة السياسات كان المرحلة الأولى لتمثيل كل الأجيال في القيادة، وأكدت المصادر أن الفترة التي مرت منذ مؤتمر سبتمبر ٢٠٠٣، كانت كافية لإظهار القدرات القيادية لجمال، وانخراطه بعمق في الحياة السياسية والحزبية الداخلية، وفي الشئون الخارجية. وإلمامه بتفاصيل العمل الوطني بما ساهم في صقل خبراته وتأهيله لموقع أعلى وأكثر فعالية.

وقالت المصادر: إن الشرعية المتاحة أمام جمال هي الشرعية السياسية، والتي تحققها له كيادته للحزب، بشقيها، الجماهيري الذى يمثله الحزب في الشارع المصري والنيابي الذى يوفره الحزب باعتباره صاحب الأغلبية في مجلس الشعب. وأن هذه الشرعية ليست سابقة التجهيز لشخص جمال وإنما هي لجيل كامل ظل لوقت طويل محروماً من المشاركة في العمل الوطني وصنع القرار السياسي، وحان الوقت ليحصل على حقه. وتوقعت المصادر أن ينعكس هذا الاتجاه على تشكيل الحكومة الجديدة بوضوح، وأن يكون أكثر من نصف الحقائب الوزارية لتيار الإصلاح ومؤيديه ليتحقق التجانس بين العمل السياسي والتنفيذي. وأن مؤتمر الحزب في سبتمبر المقبل سيكون تدشيناً للقيادة الجديدة وبرنامجها الإصلاحي..".

انتهى أول بيان لفريق التوريث، الذى "يتردد" أنه عرض على قوى سياسية فاعلة مع قرب موعد تقديم برنامجه الإصلاحي يوليو المقبل، وكصيغة متكاملة من وجهة نظره.. أن يأتي التوريث بحزمة إصلاحات مقابل الموافقة عليه، تفاصيل الصفقة غير معروفة، وإن كان منها إلغاء شرط التميز بين الأحزاب للترخيص بها، وتخفيف قيود إصدار الصحف والقنوات الفضائية وإلغاء قانون الطوارئ.. واختيار الرئيس بين أكثر من مرشح مع توقع من فريق التوريث "أنه" يمكنه الفوز في انتخابات "محكومة" بنسبة تقترب من نسب الأغلبية في الديمقراطيات الغربية. الغريب أن (محمد حبيب) النائب الأول لمرشد الإخوان قال لـ(صوت أمريكا) قبل أيام.. "إنه لا يهم من يأتي.. جمال أو غيره.. المهم أن يأتي من بين أكثر من مرشح وبحزمة إصلاحات".

ومن الطبيعي أن تحتل الإطاحة بصفوت وتصعيد جمال وفريقه المساحة الأكبر من فضاء "ما يتردد".. لكن يظل على الهامش عدد منها تخص أسماء أخرى. منها أن (كمال الشاذلي) وُعد بالاستمرار في منصبه فأعلن ذلك للمحيطين به.. وأقيمت حفلة.. ذبح فيها ما ذبح، لكن الشاذلي عاد لقلقه بعد الإطاحة بالشريف، خاصة بعد "ما تردد" عن القبض على (النحاس) [٢٠].. القائم بـ"الدرتي ورك"، وأنه أدلى باعترافات مكتوبة. مع ذلك "تردد" أن الشاذلي وُعد برئاسة مجلس الشعب.. في نوفمبر المقبل.

وخلافا لتأكيدات الشريف بأنه آخر وزير إعلام - لا مؤقت - للإعلام تتردد أسماء عديدة لخلافته، منها ممدوح البلتاجي [1] ومنها المرشح الدائم للإعلام مصطفى الفقي، ومنها حسن حامد.

مبــررات اختــيار وزير إعلام خلفا للشريف.. أخبثها تفنيد وعــده بأنـــه الوزيـــر الأخير للإعلام، وأكثرها واقعية أن تحويل الإعلام إلى هيئة يستدعي تعديلات تشريعية تستغرق وقتاً.

أكثر من اسم "تردد" للإعلام.. وضعفها لرئاسة الوزارة، من عبــيد نفــسه إلـــى جودت الملط ومدحت حسانين وفاروق العقدة وزكــريا عزمــي.. ود. إســماعيل ســراج الدين، بل إن إحدى مــشاركات موقـــع هيــئة الإذاعــة البريطانية عن مستقبل مصر رشحت زكي أبو عامر.

آخــر "مـــا تردد" أن أطرف مُغلقة تُركت.. على أن تفتح في توقيــتات محــددة ســلفا، أولها الإطاحة بالشريف.. وليس آخرها تسمية نائب من قيادات مؤسسة وطنية تم تصعيدها مؤخرا.

٢٠٠٤-٧-٢٧

هوامش

(١) حل محله في رئاسة تحرير المصور (عبدالقادر شهيب)، الآن نقيب الصحفيين.

(٢) توفي إلى رحمة الله بتاريخ ١٢-١٠-٢٠٠٤ أثر حادث سير أليم.

(٣) حل محله في رئاسة الوكالة (عبدالله حسن).

(٤) حل محله في رئاسة التحرير (أسامة سرايا) ورئاسة مجلس الإدارة (صلاح الغمري).

(٥) كرم جبر وعبدالله كمال.

(٦) تردد أن الاقتراح أستفز حرم الرئيس، لأنه يظهره بصورة "الضعيف".

(٧) انتهت مسيرة مايو لتحل مكانها (الوطني اليوم).

(٨) من مهامه متابعة إصدارات تدعم فريق التوريث. المتحدث الرسمي باسم لجنة السياسات. مدير مركز الدراسات الأمريكية بجامعة القاهرة. رُشح وزيرا للإعلام، قبل أن يتقلدها أنس الفقي. مُرشح دائم لوزارة الثقافة.

(٩) رئيس حزب التكافل.

(١٠) مازال ملفه مُعلقاً.. ولم يُحسم!.

(١١) تولــى وزارة الإعلام قبل أن يحيله الفكر الجديد خلال أسابيع إلى وزارة الشباب والرياضة.. التي ألغيت بدورها.

خطوات ترسخ مخاوف التوريث
الزواج والبابا والزعيم والأحزاب:

كما هو الحال دائما منذ إرهاصات "نتوء" التوريث الأولى، تلي.. وخطوات عكسية تنفي النفي.

في أسبوع واحد تناقضت المؤشرات. نفس النفي من الإبن في لقاء الإعلامي جمال عنايت، والأهرام - الجريدة الأولى والكبرى- تواصل رصد تحركاته.. كأحد رأسي السلطة، خبران في الأولى عن قرب زيارته للشرقية، وثالث عن نتائج زيارته لها، عبر التغطيات الأخرى.

في الثالث أعلن حلا نهائيا، حسب تعبيره، لكارثة لاحقت الاف الفلاحين لسنوات، طاردهم خلالها بنك الائتمان الزراعي بسيف السجن، تنفيذا لفكره الجديد، الذي يهدر دوره كداعم أساسي لصغار المزارعين.. ولمبرر تأسيس البنك في الستينات، التي أكد مبارك الأب، في ذات الأسبوع، لصحيفة (نيهون كيزاي شيمبون) اليابانية أن "رئيس مصر القادم يجب أن ينبذ الأفكار والنظريات الجامدة التي سادت خلال ستينات القرن الماضي".

فـي لقاء عنايت ينفي مبارك الابن سعيه للترشح للرئاسة أو لأي منـصب (تنفيذي). وهو قبل الحوار وبعده، وأثناءه، يمارس علـنا سلطات تنفيذية تعلو الوزراء. يشدد في نفس اللقاء.. "همي (تنفـيذ) البرنامج الانتخابي للرئيس حتى ٢٠١٠". وهو يبدو، في إعلانـه حل مشاكل ضحايا الفكر الجديد لبنك الائتمان، كأنه يقدم هديـة زواجه (١)، والتي تبدو بدورها، محاولة لاكتساب شعبية. فعشرات (التنفيذين) مروا على صرخات ٨٥ ألف أسرة لسنوات، دون حل.. حتى وعد بحلها هو.

اكتساب الشعبية حق، وربما واجب، لأي سياسي.. لكن على أي سند دستوري أو قانوني. ومن الطبيعي ألا يصدق أحد النفي.. مـن أصـغر متابع للهم العام.. إلى البابا شنودة الثالث.. رأس الكنيسة و"الشعب القبطي" الذي عنون برقية تهنئته بالزواج:

(السيد جمال مبارك.

برئاسة الجمهورية – القاهرة

.........................)

عـادل إمـام.. الزعيم الكوميدي أيضا لم يصدق النفي، فمع تأكـيده أنـه "مازلت أعيش عيشة الطبقة المتوسطة"، يناشده عبر النـيوزويك الأمـريكية "يا ريت جمال يرشح نفسه ويصبح رئيسا لمصر (..) نحتاج إلى شخص قوي".

الأهـم مـا سربته أوساط الحزب الحاكم.. أو لجنة سياساته، وهـو تحـديث لتـسريبات قديمة عن "الحاكم المدني" أو "الرافعة المدنية" للسلطة.

التسريبات القديمة/ الجديدة تحدثت عن تنشيط التيارات "المدنية" والطبقة الوسطى.. والنخب المهنية، وتمكينها من استعادة دورها كقاطرة لأي إصلاح، والتحول إلى الدولة "الناهضة" كما وصفها أحد مروجي التوريث في سلسلة مقالات. أهم "القديم" ما أورثه جريدة "المستقبل" يونيه ٢٠٠٤ وقت رئاسة الزميل محمد أبو الحديد لها، وإشارتها مباشرة إلى حزمة إصلاحات.. تأتي في ركاب جمال. "المستقبل"، التي لم ير أبو الحديد - رئيس تحرير الجمهورية الحالي - عيبا في نطقها باسم الفكر الجديد، توقع رئيس مجلس إدارتها رجل الأعمال أحمد رشدان لـ(العربي) في يوليو ٢٠٠٤ أن الرئيس "ح يدعم كل التيارات، و ح يشكل حكومة ائتلافية، و ح يعين معارضين كمحافظين".

قبل اكتمال هيئته الاجتماعية بزفافه، تجددت التسريبات، "مُطورة" لعاشر مرة، تحدثت عن إتاحة الفرصة أمام الأحزاب لاحتلال مقاعد أكثر في البرلمان.. والمشاركة في صنع القرار السياسي.

"العرض" الذي قيل إنه وصل لقادة الأحزاب الكبرى.. ولرموز سياسية نشطت الأعوام الثلاثة الماضية، ملخصه.. أن المجلسين التشريعيين سيحُلان عقب إقرار القوانين المكملة للدستور، وأن آلية الانتخابات بعد التعديلات الدستورية.. وإبعاد القضاء عن الإشراف عليها، تسمح بـ"تقسيمات محسوبة"، تصل إلى ٤٠ - ٤٥ % لـ "غير" الحزب الوطني من المجلسين.. وأن "العرض" قد يتطور إلى حكومة ائتلافية (!!). فالمهم، من وجهة

نظــر هذل الفريق.. وفي نظام رئاسي كما النظام المصري.. هو المنصب الذي تتمحور حوله كل السلطات.

مـــفقة/ إغـــراء واضح لقيادات وأحزاب تشعر أن الحراك الـــسياسي قـــد يفـــرز من يطرحها خارج اللعبة. حصان طروادة جديد، يمر عبره الإبن كرئيس منتخب في لعبة تبدو نزيهة، وكأنه يحظـــى بقـــبول "التـــيارات المدنية الرئيسية"، وهو ما قد يخفف انـــتقادات خارجـــية، وتحفظات.. أو رفض "مؤسسات داخلية" لها تأثيرها الحاسم على إتمام التوريث.

العـــرض طرحه ما يسمى بالجناح الإصلاحي، و نؤكد" انه نـــوقش بقوة داخل لجنة السياسات.. ولن هنالك دعما كبيرا له من منظـــري التوريث، وان تنشيطه بفعالية أكثر سينتظر عودة مبارك الابن من شهر عسله بباريس.

مـــع تأكـــدنا مـــن الطـــرح، حاولنا توثيق "القصة" من أبرز إصـــلاحي الـــسياسات وأكثـــرهم قربا وتواصلا من المعارضة.. خاصـــة "الليبـــرال" منها، اتصلنا بد. حسام بدراوي، الوحيد الذي أفصح صراحة عن نية جمال الترشح للرئاسة.. لم يجب. بعثنا له برسالتي محمول بهما نقاطها الأساسية وارتباطها به.. لم يجب.

لـــد. علـــي الـــدين هـــلال دورا أساسياً في التثقيف السياسي لمبارك الأب مع توليه السلطة.. ثم للابن، وتصفه نيويورك تايمز بـــ"المعبر عن الفريق الجديد".. و"المعلم السياسي لمن يُنظر إليه علـــى نحـــو متزايد كوريث". د. علي لم ينف "نية" الحزب اتاحة مجـــال أوســـع أمـــام باقي الأحزاب، مذكرا بتصريحات قديمة له

والجمال عن ترحيب الوطني بتفعيل الحياة الحزبية وعن دور أكبر لهـا في العمل السياسي والبرلماني معا. وزير الشباب والرياضة السابق رأي أن التعديلات الدستورية الأخيرة هي أكبر مؤشر على صدق نوايا الحزب، وعلى سعيه لتمثيل أوسع لمعارضيه.. وعدم رهـنه في الاستئثار بصنع القرار. لكنه رفض الحديث عن نسبة معينـة "لأننا في لعبة ديمقراطية مفتوحة"، او عن صفقة أو اغراء للأحزاب لتدخل اللعبة، وسخر من طرح فكرة الحكومة الائتلافية، مـشددا: لم أسمع بها. لكن عدم سماعه بها، كما استطرد "لا يمنع الحـزب مـن الاستعانة بكوادر يراها ستخدم البلد في أي منصب وزاري".. "عبدالناصـر استعان بوزيرين من الإخوان، والسادات اسـتعان بأستاذنا د.فؤاد مرسي - رحمه الله - وأستاذنا د. إسماعيل صـبري عـبدالله - أطـال الله عمره -، دون أن يتحدث أحد عن حكومة ائتلافية مع الإخوان أو مع اليسار".

قـبل التعديلات الدستورية الأخيرة، تفجرت خلافات، وصلت إلى درجة المشادات، داخل الهيئة العليا، عقب الحديث عن "صفقة ما"، افرزها لقاء جمع رئيسه محمود أباظة بجمال مبارك وصفوت الـشريف بترتيب من الأخير، الذي عقد بعدها لقائين منفردين مع أباظـة، قـيل وقـتها أن الوطني عرض "أكثر من ٥٥%" لكل من الأحـزاب الكبـرى، وتضاعف العرض في التسريبات الأخيرة.. للـوفد تحديدا. وكما لم نستطع الحصول على تأكيد أو نفي من د. هشام بدراوي.. فشلنا في الحصول على إجابة من أباظة.

داخـل الهيئة العليا للوفد برزت معارضة أعضاءها.. السيد الـبدوي وفؤاد بدراوي وطلعت جاد الله، لتنسيق أباظة مع "الفكر

الجديد". البدوي نفى إمكانية طرح الصفقة أصلا.. لأن للوفد دوره وثقله التاريخي".. فهو "ينشغل بالقضايا العامة ولا يقبل مبدأ الصفقات"، موضحا ان معارضته لجلسات لماظة مع جمال والشريف تركزت على "رفض أي تقارب مع الحزب الحاكم.. لتعارض مبادئ الحزبين"، كما نفى علمه بأية لقاءات أو عروض بعد التعديلات الدستورية، مؤكدا: لم تصل إلى علمي. لكن زميله في الهيئة العليا طلعت جاد الله أرجع النفي إلى أباظة نفسه، الذي أكد في اجتماع مشتعل للهيئة العليا، قبل التعديلات، أنه لم تعرض عليه أية نسب.. "لا خمسة ولا عشرة%"، وأنه لم يجلس لعقد صفقات. لكن طلعت لم ينف ما وصفه "توقعات بعقلانية من الفكر الجديد، أن يكتفي بأغلبية معقولة.. خاصة مع نتائج الاستفتاء التي خلت من الـ ٩٩% الشهيرة"، لكنه يستطرد "هذه أمنية لا معلومات.. ولا أتوقع أن يفعلوها".

بعفوية علق "صباح الفل عليهم". بداية، ثم قال د. رفعت السعيد رئيس حزب التجمع، وبحسم: لم تصلني أية عروض.. لا أساس لكل هذا ولا معقولية.. لا أصدق ولا أحب أن أعلق. ثم أكمل: المجلس لن يحل.. خذها مني كلمة، طول عمرهم يقولون ويوعدون، وهم بالتجربة يذوبون شوقا للسيطرة التامة. يقولون كلاما كبيرا وكثيرا، وعند التنفيذ.. أو أول ما تعارضهم، يتناسون كل ما قالوه.

٢٠٠٧-٥-١١

هوامش

(١) احتفل شاعر الشعب أحمد فؤاد نجم مع المئات في ميدان طلعت حرب بخطوبة جمال بقصيدته "عريس الدولة". فرأن جمال على خديجة الجمال عقد في ٢٨ أبريل ٢٠٠٧، والزفاف في ٤ مايو من ذات العام.. وتم عيد ميلاد مبارك الأب الـ (٧٩).

به حكم الأب.. وعبره صعد الإبن

السينما تتهم "الوطني" ببيع البلد.. حته حته

لأنهــا المــرآة الصادقة لمجتمعها أدانت السينما في أحكامها الحزب الحاكم، فاضحة ممارساته ودعمه لسيطرة الفساد على كل مستوياته.. وعلى مقدرات البلد.

فهــو حــسب بــشير الديك.. "فكرة الحزب أصلا غائبة عن بالهم"، و"هم" لا يحتملون مجرد مناقشة تداول السلطة ولامحاسبة احــد لهــم. في ظله لم نستطع أن نؤمن وطنا صحيا لأبنائنا، ولم يكــن أمــام (مصطفى خلف) في (ضد الحكومة) إلا أن يستغيث بالقضاه باكــياً.. "لدي مستقبل هنا أريد أن أحميه".. "أغيثونا.. أغيثونا". لكن"هم" يصرون على استمرار الفساد.. يعضون على أسنانهم بمــستوياتهم المخــتلفة لحمايته، مؤكدين لنا -بدون قصد ربما- أن الإصلاح يجب أن ينتزع.

فــي فيلم (أيام السادات) لنتزع "عراب" للحزب وكبير العائلة الــراحل (أحمد بهاء الدين) من عمله بالكويت إلى "خلوته" مباشرة ليقاومه علــى نحــته تعبير "الانفتاح السداح مداح"، يتجاهل حق (بهــاء) فــي توضــيح رؤيــته، مضيفاً إنه لم يستدعه لذلك.. بل لأخــذه رأيه بقرار تاريخي سيعلنه في افتتاح برلمان ١٩٧٦، ويجزة

ســنان كاريكاتورية لــ(السادات/ أحمد زكي) يقول "قررت أسمح بتكوين أحزاب".

كـنقطة نظــام دستورية يتبهه (بهاء) للدستور الذي لا يسمح بــذلك، فيــسخر من فكرة الشرعية "أنا اللي زي يا أحمد هما اللي بــيعملوا الدســاتير"، مُستطردا انه ح ينشأ ثلاثة أحزاب.. "اليسار (اليكو) عشان الاشتراكيين يتكلموا على راحتهم من غير اعتقال".. واليمين. والوسط..- يوضح العراب- "ده ح أرأسه بنفسي عشان الــناس تتشجع لدخوله". وفي المشهد التالي مباشرة يتحدث لقياداته الحكومية والحزبية عن ضرورة إلغاء الدعم.

مشهدان لقط من فيلم حاول تمجيد "العراب" يفضحان "الرحم" الــذي خــرج مــنه (منبر الوسط/ حزب مصر). لبناته الأولى.. الانفــتاح السداح مداح، والسخرية من فكرة احترام الدستور.. سند شــرعيته، والــدعم.. السند الوحيد لاستمرار رعاياه أحياء، وكان إلغائــه القــشة التــي فجرت انتفاضة ١٨-١٩ يناير، التي نُصر في"أيامه" على أنها "انتفاضة حرامية"، وبهذه الحجة "كرر" تأسيس حزب جديد، هذه المرة سيرأسه - فعلاً - بنفسه.. ليتحول القطيع إليه، وكأن الانتفاضة كانت ضد الحزب القديم لا ضده.

لكــن (زوجة رجل مهم) المُنشغل بالتركيبة النفسية السلطوية لأحــد رموز قهر "الرعايا"، وفي لقطات "تسجيلية" يرصد لقاءات "العــراب" عقــب "انتفاضة يناير" بــ(مبارك) وبــ(ممدوح سالم). الأخيــر هو الرئيس الأسمى لحزب مصر، وكأن (رؤوف توفيق

وعبد حسان) يسوقان انتقال السلطة.. في الحزب -من مصر الوادي- والرئاسة معها.

هكذا (الحزن الوطني) يندر أن تهتم السينما بالأحزاب، قبل الثورة نعرض الفيلم الوحيد الذي اقترب منها (من فات قديمه)- ١٩٤٩ لمذبحة رقابية من الوفد الذي عاد وقتها للحكم في حادث إبراهيم الشهير، حذفوا ٦٠% منه ليتحول إلى لقطات متفرقة، والمعروض من صحافة الوفد حطم الجمهور دار العرض، ومعها ... المخرج (فريد الجندي) [1]. فالفيلم الذي أنتجه (يحيى) ... السيد كان ينتقد الزعيم الوفدي (مصطفى النحاس) و...ه.. والمحسوبية والرشوة وصفقات توزيع المناصب على الأقارب وحاشية قادة الحزب.

بعد الثورة تلتقط إشارات لفساد الأحزاب وتحالفها مع القصر والاستعمار، وصلت ذروتها في (ناصر ٥٦) [2] حين تجمعت بقايا الوفد بـ"سراي الباشا" للاتفاق على بيان يطالب (ناصر) بالاستسلام ومغادرة الحكم، وعلى تشكيل وزاري بديل للثورة بالتنسيق مع "السفارة البريطانية".. بينما العدوان الثلاثي يحرق ... مدن القناة وسيناء.

إشارات أكثر طالت الأحزاب الحالية، في (خلطبيطة) مثلاً، ... (مدحت السباعي) -كلها- بتشويه للواقع، وفي (ضد الحكومة) يرفض المحامي (مصطفى خلف) الدعم المادي من حزب مُعارض والمعنوي من جريدته. وفي (الهروب للقمة) ...(عادل الأعصر) يتحول اللص (سيد الهوا) إلى (وجدي الزيني)

مرشـــح حزب معارض واحد أجنحة مافيا السلاح لمجلس الشعب، وبعــد فــوزه يصبح مخلب قط تحت القبة للصراع مع قائد جناح مافــيا منافس.. من قادة الحزب الوطني. ومن الطبيعي أن تنتهي استجوابات "المخلب" لقائد "الجناح الوطني" بشكر المجلس بأغلبيته "الوطنية" لحوت تجارة السلاح الأكبر، حتى يُفاجأ (الزيني) الجميع فــي مؤتمــر حزبه المعارض بخطاب تطهري يفضح فيه تاريخه وفساد حزبه.. والفساد الأكبر بالحزب الحاكم.

ومــن الطبيعــي أن يكــون للوطني نصيب الأسد في اهتمام الســينما بالأحزاب، لأن "رموزه وقياداته تسيطر على كل شئ.. مــن الميكــروباص لشئون الفكر" كما يقول (بشير الديك)، ولأن "رائحة عفنه تطارد الجميع".. كتعبير-(وحيد حامد).

ومــع الترميز لاغتيال "عرابه" في (الغول)، يرصد (شوادر) رحلة صعود أحد رموزه-أحمد بدير- من الاتحاد الإشتراكي الى منبــر الوســط ثــم حزب مصر ثم (الوطني).. وارتباط الصعود بفساده الأخلاقي والسياسي.

نفــس الرحلة نجد ذروتها في (الراقصة والسياسي) لــ(وحيد حامــد وســمير ســيف)، فالراقــصة-نبيلة عبيد- ترج الحزب، بتهديدها بكتابة مذكراتها المليئة بفضائح الحزب، منها "كولادة قيادة سياسية لها، تراه في التليفزيون يتحدث عن انشغاله بهموم الغلابة، فتتذكر كيف "لهف" عشرين ألف جنيه.. "عرق جسمها" في إحدى عملــيات "كــوادته"، وعــندما تقــرر أن تلجأ إليه لتجاوز رفض التــرخيص لهــا بإنشاء ملجأ أيتام لأنها راقصة، يتهرب.. فتهدد

بطاقة مذكراتها، وتلتهب خطوط التليفونات بتساؤلات قادة الحزب وأعضائه.. "اسمي موجود". وكأن الفيلم يقارن بين مفهوم الشرف لدى الفريقين.. الراقصة/ الداعرة سابقا وسياسي الحزب، الذي وصفها الداعرة/ الراقصة "بيسرق أحلام الناس زي ما سرق عرق جسمها".

ودائما هناك إشارات بعشرات الأفلام لفساد الوطني.. والأعضاء تحالفاته مع رجال الانفتاح وناهبي القروض ومستوردي الأغذية الفاسدة. وحيد حامد لا ينسى هذه الإشارات في كل أفلامه. من (المنسي) نلتقط نماذج لتعليقاتهم على بعضهم البعض: "الفلوس هي كل شيء عندنا".. "عندهم قدرة ع بيع أي شيء لتحقيق مصالحهم". وحينما يطلب أحدهم من سكرتيرته أن "تتقرب" من أحد الوزراء ترد عليه "ما تقدم له مراتك". تجيبها بحسرة "للأسف ما حدش في عينه"، ومع تصاعد الأحداث لا يوقف "تجبر" تحالف رجال الأعمال والحزب إلا استيقاظ الناس/ الشعب من النوم.

الوزراء، يكشف وحيد حامد في (معالي الوزير) سبل اختيارهم من بين قادة الحزب، "وزيرهم" أتى بالصدفة ليصدمنا بأساده الذي لا يخجل من ترديده أمام مدير مكتبه.. "عمرك شوفت واحد بيكتب تقارير في مراته.. شوفت أسفل من كده". ثم يصف السيف "مص" ملايين الجنيهات من دماء الشعب، لكنه بمجرد أن يجلس بين أقرانه في الحزب والحكومة يتحول "١٨٠" درجة، متباهيا بالإخلاص ووطنيته. الطريف والموجع أن مسؤول كبير

لتصل بوحيد عقب مشاهدته للفيلم لـ"يؤكد" له ان خمسة وزراء "على الأقل" يتشابهون مع بطل (معالي الوزير).

وحيد كان رحيما بالحزب - نسبياً - في (النوم في العسل)، فقط بأ الحزب المناقشة العلنية لحالة العجز الجنسي- بدلاالتها - التي تأكل الشعب، بمن فيهم ممثل إحدى دوائر الصعيد (أحمد عقل)، الذي يتصل بالصحفية (شيرين أبوالنصر) ليحصل منها على معلومات عن "الوبا" ليناقشه في المجلس، وعندما تحذره من ضغوط الحزب المتوقعة.. يجيبها "مالبش دعوة بالحزب.. لو الوبا وصل الصعيد، الصعايدة ح يرموا نفسهم في النيل وبسدوه". لكنه سرعان ما يوافق على إغلاق باب المناقشة متناسيا خطورة "الوبا" على تركيبة الصعيد.

ضربة وحيد الكبرى جاءت في (طيور الظلام) مع (شريف عرفه)، نشاهد طرق اختيار عناصر الحزب الفاعلة وطبخة الانتخابات، وتسخير الشرطة لخدمة الحزب.. ولو بالتحالف مع تجار المخدرات.. ثم مع "الارهابيين". نشاهد فساد الوزير و"الطبقة كلها".. سياسيين ورجال أعمال. والأهم اجتماع قادة الحزب.. و"الهبش"-التعبير للفيلم- واتهامات الفساد فيما بينهم. والتحذير من "الولد ده اللي خطر علينا كلنا". صاحب التحذير ممثل قصير القامة لا تصل قدميه للأرض.. انه نفس الوزير في (الإرهاب والكباب)[٨]، وكأن وحيد في الفيلمين يصر على "أنهم" غير جديرين بمقاعدهم.. حتى من الناحية الشكلية.

ا ،ل (طـــبور الظـــلام) اتهم (بشير الديك) والراحل (عاطف اما ...) فـــي (ضـــد الحكومة) الحزب وحكومته بتدمير مستقبل ة وطن وتحويله لـــ بلد نخره السوس، بنيانه يوشك أن يتداعى".
الطبيب الـــشهير (د.إبراهيم) الذي يُربي ابن البطل - مصطفى الـــ ويـــسبه لنفسه.. هو نفسه قيادي بالحزب.. متمرس في اسماك غير الاخلاقية، والأعلى منه حزبياً (د.عبدالنور) أستاذ ال و ... سخر علمـــه لخدمـــة السلطة.. يصف نفسه بالمحامي ... لـــرئيس الوزراء ومعظم مجلسه وقيادات الحزب، ولا ... ع عن شقيقة (مصطفى خلف) - المفصول من النيابة بتهمة ... بالمـــسجد وتهديده بتاريخه القذر، وعندما يستدعي أحد ... ماليا التعويضات يذكره بصمت الحكومة عليهم.. ويطالبه، لا ... تعويـــضات الغلابة، لكن بالضغط على (خلف) ... دعواه بمحاسبة "نظام كامل" بوصفهم "المجرمين الحقيقيين" ام ... أتوبيس التلاميذ.
... (ضـــد الحكومة) لتعرف على أساليب الحزب/ النظام ... على الرعايا، التعذيب.. تهديد الطبيب الشهير لزوجته ... لأن "موقفي حرج جدا في الحزب".. و"الحكومة والحزب ... ع يسمحوا له إنه يكسبها".. يقصد طليقها (مصطفى خلف).
... ي الفوانـــين/ أســـتاذ القانـــون/ محامـــي القيادات يتصرف ...، فلديه ملفات الجميع يستخرجها متى شاء، لكنه يتصبب ... ويستنجد صارخاً بقيادات حزبية أعلى لوقف اتجاه المحكمة ... الوزراء لاستجوابهم.

(شجيع السينما) اخراج (علي رجب)، يضيف بعداً جديداً لفضح الوطني. فـ(الغرباوي) يجمع بين عضوية المجلس الرئاسي المصري – الأمريكي [٣] والأمانة العامة للحزب، وفضلاً عن رئاسته لجمعية استثمارية.. و"يلعب اسكواش" [١]. وهو حسب بطل الفيلم، النجم السينمائي الأشهر، يقود سبعة من الحرامية الكبار و"بيبيعوا البلد حتة حتة". وعندما يجمع ضابط الشرطة (عصام) وثائق فساده وصور لقاءاته مع "الكبار"، يفصل من عمله ويصبح متهماً ومُطارداً كسفاح، وتصدر تعليمات "من فوق" لمدير أمن الجيزة- هكذا حدده الفيلم – باستبعاد (خالد الشرقاوي).. أكفأ ضباطه من متابعة القضية. و(الغرباوي) يبدو من حوار ضباط الشرطة شخصية حزبية مرموقة، لا يرى حصانة لأحد من بطشه حتى لو كان معبود الجماهير، يصرخ في رجاله "ممثل.. موش ممثل.. إتخلصوا منهم كلهم". وفعلاً – وسط حشد أمني – تتم تصفية (عصام) قبل أن تصل مستندات الادانة لـ(الشرقاوي).

"نظام كامل" وهُم "المجرمون الحقيقيون" يُشدد (ضد الحكومة).. ويؤكد أفلام وحيد، لكن (موعد مع الرئيس) لـ(المخرج محمد راضي) ينفرد بتركيبة "أبيض وإسود".. رجال أعمال يحصلون بطرق ملتوية على اذن قضائي بهدم حي شعبي لبناء مشروع استهلاكي بدلاً منه، بدعم من عضوين بمجلس الشعب/ وطني، وتتصدى لهم عضوة ثالثة منه – إلهام شاهين –، فيمارس تحالف الفساد ضد زميلته بالحزب والمجلس كل أساليب

الاغـراء والوعـيد.. منها خطف ابنتها.. والضغط عليها عبر المكـتب السياسي للحزب. لكن رئيس المجلس -رفعت المحجوب وفقـا لأداء سـعد أردش- يقف بجانبها، ولأن الحزب بدون بناء حقيقـي لا يعلـم الـرئيس بالمـشكلة إلا صـدفة حينما شاهدها بالتليفـزيون، يحدد ميعاداً للقائها.. مع ذلك لا يرتدع تحالف الفساد وتـستمر محـاولات تـصفيتها أثناء توجهها للقاء مبارك.. تنجو وتلتقيه لتنتهي المشكلة.

تـركيبة أبيض وأسود مقابل صورة سوداء في باقي الأفلام، يجيبـنا وحيد "موش جايب حاجة من عندي، ده اللي بيحصل على الـساحة.. مـن مجلس الشعب لأصغر حتة بالبلد"، يؤكد "مافيش نموذج جيد"، ويستطرد "أنا مثل أي فنان حلمه الكبير إنه يعيش في مجـتمع مثالـي.. لكن ريحة العفن بتطارد الناس".. "لازم نخليهم عبـرة لـردع غيرهم.. الحزب الحاكم زي القدر.. نصيبنا ولازم نعمـل على تنظيفه".. "يجب التخلص منهم في أقرب وقت".. "مع ذلـك لو الحزب فيه ايجابيات ح تلاقيني معاها.. لكنني لن أشكر واحـد لانـه ما سرقنيش". بشير الديك اتفق معه في صدق الرؤية الـسوداء - الواقعية.. "ح نجيب لهم نماذج بيضة منين؟". واكتفى علي رجب بالتساؤل: "شوف قوى الفساد واصلة لفين؟".

"الأبـيض" ربمـا جـاء في (موعد مع الرئيس) من تخوفات رقابـية، لكن وحيد وبشير نفيا أي تدخل رقابي، بينما يعتقد علي رجـب "هم ما خدوش بالهم من اللقطات دي.. باعتبار إن شجيع

السيما فيلم تافه كما يعتقد البعض"، يضيف: كنت حريصاً على الا أسلط الأضواء عليها لتمر.. ومرت.

والثلاثة لا يتوقعون أفقا جديداً للحزب مع شعارات الإصلاح والحـوار والمواطنة، لتتغير معه رؤيتهم للحزب في أفلام قادمة. سـألتهم عن نماذج من الوطني تجذبهم دراميا فاتفق وحيد وبشير علـى"شخصية فجة يبدو كالقبضاي"(٥).. في حين رأى علي انهم "زي الدود خارجين من زلعة واحدة".

٢٠٠٣-١١-٩

هوامش

(١) أخـرج بعـد (مـن فات قديمه) فيلما تسجيلياً وآخر روائياً.. ثم توقف.

(٢) سيناريو محفوظ عبدالرحمن وإخراج محمد فاضل.

(٣) كـان جمال مبارك عضوا ثم متحدثا رسمياً باسم المجلس الذي يضم رجـال أعمـال مـن البـلدين تحت رئاسة مبارك ونائب الرئيس الأمريكي.

(٤) الرياضة المفضلة لمبارك الأب، قبل اعتلال صحته.

(٥) يقصدان كمال الشاذلي.

ضد التيــار

فتح ملف تنحي مبارك

مــع تـصـعيد دعــوات التغيير ، كثفت وسائل الإعلام الدولية متابعتها لـ"المخاض" الذي تعيشه مصر .

أقــدمت هيــئة الإذاعة البريطانية بثقلها الإعلامي والتاريخي علــى خطــوة فــريدة بفتح ملف مطالبة (مبارك) بالتنحي، داعية زوار موقعها-الأفضل في العالم حسب أهرام الأربعاء الماضي - بالتعليق على بيان حركة (كفاية)، وانهالت الآراء التي توقفت مع تجميد "الدعوة للمشاركة" بالموقع قبل العيد

http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_٤٩٥٢٨٦٥/٤٩٥٢٠٠٠.stm

مجــرد طــرح الفكرة لقي اعتراضاً من مصريين شاركا في الاســتطلاع، برر (إسلام عمر) رفضه بــ"بلادنا.. ولا يحق لأحد سوانا أن يقرر لها، الموضوع ليس للنقاش". مُدافعاً عن (مبارك) الــذي نجــح "بـسياسته الحكيمة أن يؤخر قدر المستطاع اندلاع الحــروب بالشرق الأوسط"، وأيده (جرجس عبد المسيح - شبرا) مطالــباً "بــي بي سي" والمشاركين بــرفع أيديهم عن مصر "الاستقرار والأمان". لأن "مبارك حدث البنية الأساسية ووفر الأمن

ولــه نظرة مستقبلية وحكيم بتصرفاته، وليس هناك من هو افضل منه".

(إســلام وجرجس) كانا بين قلة دافعت عن استمرار (مبارك) وعــن إنجازاتــه، (شريف فاروق- القاهرة) تساءل "لماذا يتنحى وهــو القــادر الوحيد علي إدارة البلاد؟ أنا ضد توريث السلطة، وأعلن الرئيس ذلك مراراً، كما أنني ضد ترشيح أكثر من شخص للرئاسة، فنحن دولة نامية تعاني من أمية سياسية، وسنفتح الطريق أمام الرأسماليين للتحكم في ترشيح الرئيس"، ووصل تأييد (إبراهيم الفار - دمياط) للتحذير من أن "التنحي كارثة على الشعب".

المــؤيدون غــضبوا مــن تحذيــرات لمــشاركين عــرب لـــ"الديناصــورات" العرب من نفس مصير صدام، منهم (حسين علــي الموســوي -بغــداد)، ومواطنه (محمد) الذي تمنى لمصر تغييــراً بــدون حــروب. لكن العرب كما (أبو أحمد الموسوي- الــسعودية) دافعوا عن مشاركتهم بـ"لا أعتقد أن بقاء مبارك شأن داخلــي"، ورأي (عماد حسن الطاهر-الخرطوم) أن "هذا المطلب لــيس مقــصوراً علــى مصر"، واتفق معه (سالم - الكويت) لأن "التغييــر فــي مصر- إن حصل - سينتقل لباقي العرب"، وأيضا (محمــد هــشام - المنصورة) الذي قال "لو فعلها، سيخلده التاريخ العربي، فعدوى الديمقراطية ستنتقل إلى كل العرب".

الإنجــازات التــي تحدث عنها المؤيدون قوبلت بنفي أغلبية ساحقة من المشاركين، وطالبتهم (نهى عبدالحميد جمعة) بتحديدها، فهــي مــصرية مثلهم.. وُلدت وعاشت في مصر ولا تجد إنجازاً

يذكر، مضيفة بسخرية "إلا إذا كانت الكباري والأنفاق والتليفونات إنجازات". في المقابل.. كانت مبررات الداعين للتنحي لا تحصى منها حلم (عودة أبو عواد - سيناء) بسماع "الرئيس السابق" بدلا من "الراحل"، وتأكيد (حسين كمال - القاهرة).. "لابد من التغيير والانتخاب المباشر والمنافسة على الحكم" و"يكفي إننا محكومون بفكر ونظام مؤبد ٢٣ سنة".

رفض فكرة "التأبيد" رفعه كثيرون، (خالد ومحمد- مصر).. "التغيير تأخر كثيرا (..) حالة إحباط يعانيها الشعب في ظل حكومات مبارك المتعاقبة"، حتى انه "ما يقتش فارقة عنده.. وتطرق لمواضيع كانت تعتبر خطأ أحمر". (محمد) حذر من إن الوسائل السلمية حال فشلها "قد تتبعها وسائل أخرى لا يحمد عقباها".

وعلى حد تعبير (محمد علي - القاهرة) فأن"كل مصري يتمنى أن يصحو من نومه ليجد بلداً ديموقراطياً حقيقة لا بالشعارات ولا بتسويف للآمال الزائفة في التغيير تحت مسميات مكشوفة مثل (الحزب الوطني والفكر الجديد).

(محمد عفيفي إبراهيم- مقيم بالدوحة) مهد لرأيه بأنه "لا خلاف على أنه بذل كل مجهود لصالح مصر". لكن (عفيفي) مع ذلك طالبه بالتنحي لأن "مصريون كثيرون يمكنهم إحداث تغيرات سياسية والاقتصادية بحاجة ملحة إليها الآن".. "خاصة مع زيادة الضغوط الاقتصادية على كاهل المصريين الذين يعيشون على أمل التغيير أو وعوده". محذراً من انه "بدون هذا الأمل يكفر

المصري بمصريته". نفس الرأي تقريباً طرحه مواطنه (محمد سيد عبيد) لأن "التغيير مطلوب دائماً حتى يكون هناك سياسة وفكر جديدان"، متمنيا أن نشهد انتخابات مثل أمريكا لـ "يختار الشعب من يحكمه لأول مرة".

(ريم - طنطا) تبسط القضية قائلة "عندما يتولى شخص مسؤولية ما فان أمامه طريقين: إذا نجح فيها استمر، وإذا أخفق يفسح المجال لغيره"، وهي ترى فشلاً أضر بـ ٧٠ مليون مصري.. لذا تنضم لمؤيدي بالتنحي. (محمد أحمد - القاهرة) وسع مطالبته فـ "الانتقادات والمطالبة بالتغيير لا تقف عند الرئيس وحده بل يجب أن تطال كل الأجهزة.. وزارات وهيئات ورؤساء تحرير.. إلخ".. فلا يخفى على أحد حجم الفساد داخل الدولة"، متسائلاً: لماذا البلدان الأخرى تنعم أفرادها بحقوق الإنسان البسيطة؟. ويستند (عادل المصري) إلى فشل مبارك في إيجاد نائب له طوال حكمه، وينضم له (م.ح- الدقهلية) متعجباً من "تنحية أي شخصية وطنية نشطة طوال ٢٤ سنة مضت". (محمد هشام- المنصورة) لخص رأيه الداعم للتنحي بأن "التاريخ سيذكر أن عبد الناصر والسادات أخطئا لأنهما فعلا كذا وكذا.. أما مبارك فسيذكر له إنه أخطأ لأنه (لم) يفعل كذا وكذا"..، ويصل التقييم مع (مواطن من المنوفية) إلى أن "مصر تعيش أسوء فترة على مدى حضارتها، فقر وجهل، واستبداد وعربدة من الحكومة والشرطة، وأسوء عصور الحرية، ليس هناك شيء يدعو إلى التفاؤل". ومع (أشرف- المنصورة) إلى أن نظامه وحكوماته المتعاقبة شردوا

أبنـاء مـصر واستأثروا بثرواتها لأنفسهم وأقاربهم وحرموا منها الشعب. وازداد الفقير فقراً ويزداد ثراء".

فالوضـع وفقـا لـ(حسام السيد- القاهرة) مقلق جداً وتحتاج ٥٠ عاماً لإصلاح الفساد السياسي والاقتصادي الذي سببه النظام"، وفـرص التنمـية حسب (أحمد إبراهيم - القاهرة) أضاعها تولي الكهول من أهل الثقة أهم المناصب"، والحل هو التغيير كما يقول (عباس- الدقهلية) لـ"تسري دماء جديدة لمواجهة والمهيمنين على السلطة".. "بشرط أن لا يكون التغيير بجمال مبارك رئيسا".

الـتخوف من التوريث عبر عنه آخرون. لكن غيرهم طالبوا بـ"أن نجـيب من الآخر طارحين تقنين الملكية الجمهورية". فـ(علـي البغدادي- بغداد) لا يعتقد "إنه سيستجيب للتنحي، وقد يرشح ولده بعده"، مقترحاً "أن ينصب نفسه ملكا، وبعده جمال، مع رئيس وزراء يحكم.. مثل ملكة بريطانيا". الفكرة لقيت صدى لدى (محمـد الحـسيني طـه- أبو ظبي)، والنتيجة "يتحول النظام من جمهـوري إلـى ملكي.. وهو الملك، فإذا تولى جمال الحكم بعده يـصبح الأمـر طبيعـياً. أفضل من أن ينتظر الشعب سنة أخرى ليحـتفل باليوبـيل البرونزي لـ ٢٥ سنة على حكمه، وأجدى من النفخ في قربة مقطوعة".

قـربة مقطـوعة.. تعبير يأس، تماس معه عديدون، فحسب (حـسين كمـال- القاهرة).. "مصر محكوم عليها منذ الأزل بأن حاكمهـا لا يتنازل إلى أن يموت أو يغتال"، ويصف (سيد علي - القاهـرة) التنحـي بأنه "أحلام اليقظة". أما (محمد السعيد فرج -

القاهــرة) فيــرجع يأســه إلـــى أن "الشعب فقد القدرة على إدارة شئونه".. مع ذلك فهو متمسك بـــ"أعطائه الحق في تقرير مصيره حتـــى لـــو أدى ذلـــك إلى كارثة"، ولرجع (أبو أحمد الموسوي- الـــسعودية) ضعف الشعب إلى "أنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، وإيهامـــه بـــأن قيادة مبارك هي الأفضل"، في حين أرجع خمسة مـــشاركين يأسهم إلى أن قرار التنحي لن يصدر من القاهرة.. بل من واشنطن.

بـــين تأييد مبارك ومطالبته بالتنحي.. واليأس، طرح البعض حلولاً وسطاً، منها إصلاحاً تدريجياً حقيقياً كما شدد (ممدوح وديع وخالـــد- القاهرة) واقترح خالد "مجلساً أعلى للرئاسة يقوده مبارك وعدد من نوابه في مناخ يسمح للجميع بإظهار قدراتهم وكسب ثقة الـــشعب"، ومـــنها مـــوافقة (إبراهيم -القاهرة) على ترشيحه لفترة أخيـــرة، بـــشرط تغيير الدستور في عهده، لينص على عدم جواز ترشـــيح أي رئـــيس مستقبلاً لأكثر من فترتين، واختياره من بين مرشـــحين مـــتعددين. وأن يكون منصب الرئيس شرفياً. في حين طالـــب (جـــلال فهمي- القاهرة) الـــ بي بي سي بـــ"استفتاء بين قـــرائها المـــصريين على رئيس الجمهورية القادم، من بين ثلاثة أســـماء.. جمـــال مـــبارك، عمـــرو موسى، مصطفى الفقي". أما (أرمانـــيوس -القاهـــرة) فقـــد وعد مبارك "إذا تنحي بأن التاريخ سيكتب اسمه بالنور".

٢١-١١-٢٠٠٤

منافسة مبارك

"المنصب/ الرئيس"، ليس فقط قاطرة للدولة كما الديمقراطيات المعـروفة.. خاصة الجمهوريات الرئاسية منها. بل "هو الدولة.. والدولة هو".

على حجمه تنضبط قواها ومكانتها الإقليمية والدولية.. اما أن تأخـذ حجمهـا الذي تستحقه أو تنكمش تدريجيا كما حدث لمصر العقــود الثلاث الماضية، فلا إصلاح لأحوالها إلا بإنزاله من "ذات رئاسية" فوق مواطنيها إلى "محل للتنافس" بين المواطنين أنفسهم.. بانتخابات حقيقية.

والانــتخابات، حسب توضيح د.محمد السيد سعيد، ليست فقط وسـيلة لاختـيار رئيس من بين متنافسين، فالأهم أنها تنشط ذهن المجـتمع سياسـيا وتعــرفه بخياراته وتفرز نظريات وتجمعات تـتمحور كـل منها حول مصالح معينة.. إنها اللحظة الأروع في حـياة أي شعب. د.السيد سعيد ذكرنا أيضا بأن مصر "أقدم" دولة فـي التاريخ، ولا يليق أن تحكم بدستور تسلطي. لا ينفرد الباحث المعـروف بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بهذه الـرؤية، فهـناك ما يشبه الإجماع على حتمية تعديلات دستورية

إصلاحية، في القلب منها اختيار "الرئيس/ القاطرة" بين أكثر من مرشح. وأمام إصرار النظام على التفرد بالمنصب.. توزعت رؤى التعامل مع "احتكار" الذات الرئاسية له بين ثلاثة توجهات.. يتماس أولها وثانيها في عدة نقاط.. ويقف الثالث منعزلا مقتربا من رؤى "الذات الرئاسية".

الأول: تمثله أمانة تحالف أحزاب المعارضة المعترف بها رسمياً، يفضل الاستمرار في الضغط بالوسائل المتاحة وفقا لواقع الحياة السياسية لتحقيق الإصلاحات المطلوبة. أخر تحركات التحالف كانت مؤتمر عابدين المقرر عقده في الخامس من نوفمبر القادم [1]. والثاني في القلب منه حركة (كفاية) التي ترى أن الوسائل المتاحة لم تعد تجدي، والحل في معركة سياسية متصاعدة تطرح اسماً مدعوماً شعبياً [2]، تتكتل حوله معظم الفعاليات السياسية لمنافسة مبارك الأب.. على الأقل إعلامياً.

ضياء الدين داوود [3] رئيس الناصري، أحد أبرز أحزاب "التحالف"، عبر عن تحفظ أقرب لرفض الفكرة، فنحن - على حد تعبيره- نواجه سلطات لا نهائية.. نتوقع ألا تسأل عما تفعل، وأي اسم سيطرح كمنافس "ح يتجرح" وقانون الطوارئ جاهز للتطبيق. وتساءل (داوود)-الوزير السابق ورجل القانون- كيف يمكننا اختراق المانع الدستوري الذي يشترط لطرح الأسماء للمنافسة الحصول على تأييد ثلث أعضاء مجلس الشعب.. وطرحها للاستفتاء بحصولها على ثلثي الأعضاء. قلت له.. المعركة حسب تصور حركة "كفاية" سياسية في المقام الأول لحشد وتحريك رأي

عام ضاغط لتعديل الدستور. لكن رئيس الناصري تمسك بتحفظه محــذراً من أن المعركة ستؤد من أول لحظة.. فالخلاف سينفجر حــول الاسم المطروح، والساحة السياسية منقسمة على نفسها في ظل بيئة لا تسمح لها بالتحاور والتوافق، مشيرا بشكل خاص إلى التــيار الناصـــري، الذي رغم ثوابته الواحدة موزع على ثلاثين فرقة".

داوود حــرص على توضيح إنه ليس راضياً للفكرة بقدر ما هــو متــشكك في جدواها.. وفي فرص نجاحها، لأن فشلها -كما يتوقع- سيغرق الناس في إحباط أكبر. داوود الذي أكد عدم وقوف (الناصري) خلف الاسم الذي ستطرحه (كفاية).. أيا كان، أكد في نفس الوقت أهمية طرح فكرة "المنافس" للجدل العام.

طــرح منافس على "الرئاسة" ليس وليد اليوم، فعلى الإنترنت "دستة" مواقع طرحت الفكرة.

"فـــي يوم سطعت عليك فيه شمس الديمقراطية لترشح رئيسا لمــصر".. هكذا دشن موقع (شئون مصرية) حملته. استطلاعات الــرأي المــشغولة بـــ"المنافس على الرئاسة" بدأت أولاها عقب "إغماءة" مجلس الشعب وتزايد عددها مع "جراحة ألمانيا"، طارحة أسماء تراها معبرة عن ألوان الطيف المصري من (مبارك الإبن) إلى (نجيب ساويرس)، مرورا بـ(عمر سليمان وأيمن الظواهري وعمـــرو خالد ومجدي أحمد حسين ونعمان جمعة ورفعت السعيد وحمـــدين صـــباحي.. وعمـــرو موسى)، ولم يُطرح اسم (مبارك الأب) إلا في مواقع تنشغل بتقييمات الأفضل والأسوأ.

مـــن الإنتـــرنت إلى شبكة "لعدات" ضمت سياسيين ومثقفين انشغلت بمستقبل وطنها، اقترح أحدهم أحياء مصطلح "أبو الأمة"، بالاســتقرار علـــى اسم له قيمة وطنية مجمع عليها، تحتشد حوله التحـــركات الساعية للتغيير، انطرح كان قويا أثناء وعقب جراحة ألمانـــيا، وقـــتها تحدث البعض عن أبو الصناعة المصرية (عزيز صـــدقي) (٤) وعـــن شـــيخ القضاة يحيى الرفاعي والفقيه القانوني طارق البشري.. وبالطبع "الأستاذ" هيكل.

هيكل كان أول "الأباء" الذين نوقشت الفكرة معهم، ونقل عنه تـــرحيبه بهـــا.. واعتراضه على الشريحة السنية المقترحة، "لأنها ضـــد طبـــيعة الأمور وضد الأفكار المطالبة بالتجديد والتحديث". هيكل استخدم هنا مفردة عامية (٥) تعني انتهاء دور هؤلاء.

لكـــن فكـــرة طرح منافس لمبارك.. الأب أو الابن، خرجت للعلـــن فـــي العاشر من سبتمبر الماضي، أثناء مؤتمر جماهيري حاشـــد ضم كل الأطياف السياسية على منصة واحدة تضامنا مع ســـجناء الـــرأي بـــنقابة المحامـــين، واســـتغله القيادي الناصري عبدالعزيـــز الحســـيني للمطالـــبة بالتوحد في كتلة واحدة ببرنامج إصلاحي يقترب من هموم الشارع. يطرحه، كواجهة له، اسم يتفق علـــيه كمنافس على الرئاسة. الحسيني اقترح معايير محددة لضبط الأســـماء المرشحة.. "معروفة نسبيا للكتلة النشطة سياسياً، قادرة على مخاطبة الجماهير والتواصل معها، سبق اختبارها في مواقف نـــضالية وتحملـــت بطش السلطة ولم تتراجع. لأن المعركة- من

وجهـة نظـره ستكون شديدة القسوة. والأهم ألا يكون منغلقا أيديولوجيا.. ليحظى بدعم معظم التيارات".

فـي نفـس المؤتمـر التقط القنيس (نبيل الهلالي) [١] الفكرة داعمـاً ومـؤيداً.. بـل ومـصرحاً لفضائية الجزيرة بأن (كفايه) سـتتبناها وتأخذ خطوات نحوها.. لتصبح المرة الأولى في تاريخ مـصر الحـديث التي يطرح فيها منافسا للحاكم منذ طرح (محمد علي) بديلا لـ(خورشيد باشا).

الفكرة كانت مطروحة أذن في كواليس كفايه، التي رفعت في مؤتمـرها الأضـخم بجمعية الصعيد شعار "كفاية طوارئ". وهي تضم حتى الآن أكثر من ٦٠٠ سياسي ومثقف.

فـي مؤتمر جمعية الصعيد أخذت الفكرة زخماً جديداً. يقول منـسق الحـركة جـورج اسـحق: الفكـرة ما زالت قيد البحث لخطـورتها، والموضـوع عـاوز حنكة في التعامل، النظام يدعم مقـولة أن لا بديل غيره سوى عدم الاستقرار، نريد طرح اسم له مصداقية تفوق ما هو كائن.. قادر على تحمل ضغوط متوقعة من الـسلطة. جـورج تحـدث عن وضع قائمة للفرز منها.. "بتمهل وبمـشاركة معظـم القـوى"، مـتوقعاً جـدلاً حول الاختيارات المطروحة.. "لأن النظام قتل الحياة السياسية ولم يسمح بنمو رأي عـام يفرز قيادته". جورج اقترح على كفايه والداعمين لتحركاتها اتخـاذ مقـال المستـشار طارق البشري [٢] في العدد السابق من (العربي).. "مانيفستو" لمعركة "المنافس".

على حدود الفكرة وقف د. حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، قائلاً: إذا كانت المسألة معركة سياسية وأساليب ضغط، فهناك وسائل أكثر جدوى، أهمها اتفاق معظم عناصر المجتمع المدني والأحزاب على هيئة قومية لها مصداقية وطنية.. تعبر عن كافة الاتجاهات لتقود التحركات الإصلاحية، وتمارس دوراً مشابهاً لما فعله المطالبون بالاستقلال قبل ثورة ١٩١٩.. مع حملة توقيعات "تفويضية" لهم لاكتساب شرعية موازية للسلطة. الهيئة حسب طرحه ستتولى أيضا صياغة دستور بديل، أبرز ما فيه انتخاب الرئيس من بين أكثر من مرشح.. وبالتوازي مع تصعيد تدريجي للأنشطة، ستتولد بصورة طبيعية الأسماء المنافسة.

أستاذ العلوم السياسية انضم لرئيس الناصري في مخاوفه من خلافات متوقعة حول الاسم المنافس، مشيرا هنا إلى أن أحزاب المعارضة التي تشكو من استبعاد النظام لها، استبعدت بدورها كل قوى لا يعترف بها النظام المطلوب تغييره. وأيضا إلى تحركات عاصرها العامين الماضيين.. بدأت بحماس سرعان ما يفتر. تخوف د. نافعة الأساسي يأتي من الموات المسيطر على الساحة، فإذا كانت الكتل النشطة تفتر بسهولة.. فماذا عن الشارع الذي بدون تحركه لا أمل في أي إصلاح. د. نافعة - أخيرا - لم ير في جيل الوسط الذي اقترحه هيكل اسما يستطيع استقطاب الناشطين والشارع حوله.

"الفكـــرة بـــراقة مـــن أول وهلة".. علق المُبدع أسامة أنور عكاشـــة، لكـــنه سرعان ما انضم لتحولات رئيس الناصري ود. نافعـــة، مُقتـــرحا أن تـــبدأ المعـــركة بخطوات محسوبة.. متتالية وسريعة، مُتفقاً هنا مع نافعة على أحياء حملة توقيعات ثورة "١٩١٩"، علـــى أن تُرفع للرئيس ليرى المطالب الحقيقية للشعب. تخوف عكاشـــة الأكبـــر كـــان البطش المتوقع ضد الناس، فنحن بتعبيره الحرفـــي "نقتـــرب من منطقة ظلت مُحرمة لعقود.. من العصب الحـــساس للـــنظام". وزد الـــسلطة سيكون عنيفا مستغلة الطوارئ والتجـــريم.. مُـــستندة إلى أن الدستور حدد طريقة وحيدة لاختيار الـــرئيس. لذا فهو يطرح تحركاً يشبه المؤتمر العام.. غير حزبي، وفرصته الوحيدة في الحياة ترتبط بحشد الجماهير حوله.. فبدونها لا حماية من البطش.. ومن هذه التحركات سيفرز الشارع منافسي الرئيس.

تخـــوفات مماثلـــة لدي الروائي الكبير صنع الله إبراهيم [٨]، فـــبدون إلغاء الطوارئ وإطلاق حريات التعبير وإصدار الصحف ستولد الحركة ضعيفة. كيف ستصل إلى الشارع؟.. يتساءل صنع الله، لكنه كما نافعة وعكاشة يستعيد تجربة توقيعات "١٩١٩"، ليس فقـــط لاكتـــساب شـــرعية موازية، بل أيضا لعدم "تخويف الناس" المـــرعوبين من كلمة سياسة، فطلب التوقيع من وجهة نظر صنع لـــن يعتبـــره الـــناس بخطورة المطالبة بالتظاهر.. وعندما تتحول الحملـــة إلـــى قـــضية رأي عام سيسهل تحريك الشارع.. وطرح

الأسماء المنافسة. صنع استدرك: ليس معنى ذلك أنني ضد الفكرة، لأنني سأقف خلف من تتفق عليه أغلبية القوى النشطة.

ولايرى مخرجنا يوسف شاهين تناقضاً بين توجهي "تحالف الأحزاب" وحركة (كفاية) المنضم إليها [9]، فيمكننا التحرك في الاتجاهين معا، فالمهم عنده أن يحصل على حق انتخاب من يدير أمور بلده مثل أي مواطن غربي. ولتلميذه المخرج خالد يوسف نفس الرأي تقريبا، لكنه انضم لتخوفات إجهاض فكرة (كفاية) بالخلاف حول الاسم، مضيفا أن المبدأ هو التغيير الجذري والباقي تكتيكات نتفق ونختلف حولها. خالد، الموقع على بيان (كفاية)، سيدعم من تختاره متوقعاً دعماً مماثلاً من شاهين.

نائب الشعب -سابقا- جمال أسعد رحب بالطرح كـ"عملية رمزية" تخدش استحواذ فرد على المنصب، وبالطبع لا يتوقع مرورها من مجلس الشعب لأنه في "أيد مبارك". ورغم أن أسعد تمنى أن يفرز الشارع تلقائيا مرشحيه إلا أن تفهمه للواقع يدفعه لتحبيذ طرح "اسم/ رمز"، كادر جماهيري.. له علاقات وثيقة بكافة القوى. اتفاق أسعد مع تخوفات من سبقوه حول خلافات الاسم، لم تمنعه من التشديد على أن أساليب "إدارة" الخلاف تضع القوى النشطة على المحك.. كاختبار فعلي لإمكانية توافقها".

داخل (كفاية) عدد من رموز الأخوان.. كأفراد، لكنني كنت واضحاً مع د. عبدالمنعم أبو الفتوح [10] في أنني أتحدث لقيادة إخوانية. أبو الفتوح كان متابعاً للطرح.. ولم يرفضه. مع تأكيده على أن "الأمور لم تتبلور بشكل نهائي"، لا يتوقف كثيراً عند

مخاوف الخلاف على الاسم، "لان المعركة تهدف لتوعية الناس بالأهمية القصوى لانتخاب الرئيس ديمقراطياً لتحسين حياتهم وضمان مستقبل أبنائهم". أبو الفتوح مع تقليله من أهمية خلافات الاسم، تساءل: ما البديل والنظام يرفض تماماً أي نقاش حول تغيير حقيقي؟.

للإخوان مطالب محددة في "الاسم": له ثقل نسبي بين الناس، يحترم الدين والقيم الروحية.. والحريات، يقبل بالأخر.. أيا كان هذا الأخر، متسامح ويعي قيم الحضارة المصرية بعناصرها.. من الفرعونية إلى الإسلامية. أبو الفتوح رأى أن البيئة المصرية مليئة بعشرات يصلحون للمنصب.. لكن المناخ السائد يخنقها. وهو مع تحبيذه الشخصي لـ"اسم محدد".. رفض تحديد موقف الأخوان.. مشدداً على أن وقوف قيادات منها خلف اسم ما لا يعبر عن موقف الجماعة.

ومبدأ طرح منافس لمبارك يتفق مع رؤية حزب الغد كما يؤكد أيمن نور وكيل مؤسسيه وعضو مجلس الشعب. نور كان متحفظا في الحديث "لأن مسؤولين أمنيين اتهموني بالسعي لترشيح نفسي ضد مبارك في مجلس الشعب". سألته عن صحة "الاتهام".. فأجابني بضحكة، مضيفاً: أمامنا خياران لا ثالث لهما.. أما احترام الدستور الخانق لآمال الأمة كـ"حذاء" ضيق يقيد تحركها، أو تجاوزه، وتجاوزه هنا يشبه "الفرض".. إنقاذاً للأمة والوطن. نور وعد بتأييد حزبه- تحت التأسيس- للاسم الذي تتفق عليه "معظم" القوى [١١].. حتى لو كان مختلفاً أيديولوجيا مع الغد، مشترطاً فقط

أن يكــون مدنـيا وينتمــي لشريحة سنية أقل كثيرا من الشريحة المسيطرة على الحكم، وله قدر من المصداقية.

دائمـــا هناك مخاوف من الخلاف على الاسم.. عدا د. محمد السيد السعيد الذي لم ير لها أي مبرر. فالعادي -يقول- أن تختلف الـــناس وتتناقش وتتشابك في جدل صحي لتصل إلى توافق.. وإلا متى سنجرب احترام التعددية. مُقترحاً أن يدخل داعمو الفكرة في مـــشاورات موســـعة، تمامـــا كما يختارون رئيس شركة أو أستاذ كرســـي لـــي الغـــرب، وتُطرح عشرات الأسماء ويجري حولها "إســـتمزاج". وبعـــد خلافـــات طبيعية يمكن الاستقرار على قائمة محـــدودة، ليجـــري عليها ما يشبه الانتخاب الداخلي. د.السعيد لا يرى ضرورة لإجماع هنا، يكفي أن يتفق الأغلبية على شخصية.. يُفـضل أن تكون غير حزبية، قادرة على القيادة.. تحت الخمسين و"يقظـــة ذهنياً". وهو أيضا لا يرى مشكلاً في عدم الاتفاق على اسم وحـــيد.. فما المانع أن يكون اسمين أو حتى ثلاثة، صحيح أن هذا يـــضعف وحـــدة التحركات.. لكنه يرسخ مبدأ التنافسية ويقتل مبدأ "الواحدية".. حتى في داخلنا نحن.

خارج التوجهين المتداخلين تقف ثلاث منظمات "حقوقية" شبه منعـــزلة، تطالـــب بإصلاح تدريجي.. يبدأ بعد الاستفتاء والموافقة علـــى فتـــرة جديـــدة لمبارك. هشام قاسم العضو المنتدب لجريدة (المـــصري الـــيوم) ورئـــيس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، اشـــترط للحـــديث أن أصفه – فقط- بـــ"الناشط السياسي"، مبررا ذلك بأن رأيه "الشخصي" قد يبدو متصادماً مع الحريات، موضحاً

أن التركيز على الإصلاح الجذري وعلى رئيس جديد يهدد الاستقرار، فـ"الثورة"- كما يرى- دمرت السلطة التشريعية والقضاء والإعلام.. وجاء النظام الحالي ليقضي على السلطة التنفيذية، وبالتالي ليس بالمجتمع آليات سياسية تمكن "مدني" من الحكم.. "مستقلت منه". قاسم تساءل.. هل نريد أن نصبح مثل تونس.. انتخاب بين أكثر من مرشح.. والنتيجة صورية تماماً.. والمنافسون أنفسهم يؤيدون الرئيس؟. تساءل أيضا.. ما هي آليات ضغطهم، ليس معهم قوى شعبية ولا منظمات رأسمالية ولا عسكر.. الحكومة تتعامل معهم كجزء من ثقافة الاحتجاج [١١].

تعبيرات تشبه كرسي في الكلوب، لكن (كفاية) ماضية في طريقها، الاثنين الماضي اجتمعت أمانتها العامة واستقرت على صياغة عريضة ذات طابع شعبي لجمع مليون توقيع عليها، وتنشيط تحركاتها في أنحاء مصر، وتشكيل لجنة قانونية تضم (شيوخ القضاة يحيى الرفاعي والمستشار طارق البشري ونبيل الهلالي ود. عاطف البنا وعصام الإسلامبولي).. وغيرهم، لضبط تحركات "كفاية" قانوناً وصياغة تعديلات دستورية مقترحة – أيضاً- تضبط انتخاب وصلاحيات الرئيس.

٢٠٠٤-١٠-١٧

هوامش

(١) فشل التحالف في عقد أية مؤتمرات وظل ممتثلاً للرفض الأمني حتى انتهى وجوده.

(٢) لأن فكرة "المنافسة" كانت إعلامية وسياسية في المقام الأول، لحشد الجماهير حولها تمهيدا لإعلان العصيان المدني. تراجعت (كفاية) عنها بعد إعلان مبارك تعديل المادة "٧٦" من الدستور ليسمح بمنافسة صورية له.

(٣) بعد خلاف مع أمينه العام احمد حسن، نجح رئيس الناصري في إقناع مكتبه السياسي وأحمد حسن نفسه، بمقاطعة انتخابات الرئاسة بعد إتمام التعديل الدستوري، معتبراً الأمر كله "لعبة تنتظر كومبارس لإكمالها".

(٤) رئيس وزراء مصر في العهد الناصري، توفى ٢٥ يناير الماضي عن ٨٨ عاما، كان من أبرز معارضي مبارك.

(٥) استخدم هيكل تعبير "كهنة".

(٦) مناضل ماركسي رائد، ورجل قانون وقف ودافع، في الحياة وأمام القضاء، عن كل التيارات السياسية، حتى الأكثر تناقضاً مع أفكاره.

(٧) "أدعوكم للعصيان".. عنوان مقال/ دراسة، أكد فيه (البشري) تعري نظام مبارك من أية شرعية وهو ما يستدعي الدعوة لعصيانه مدنياً.

(٨) أحدث صنع الله زلزالا في الحياة الثقافية والسياسية المصرية والعربية، برفضه جائزة القاهرة للرواية أكتوبر ٢٠٠٣، لأن "الجهة التي تمنحها فقدت كل مشروعية".

(٩) في حوار شهير له مؤخرا، ورغم تأكيده على أنه "كفاية" ليس عملا للنظام مبارك"، وترحيبه ودعوته الفنانين للمشاركة في مظاهرات كفاية، نفى (شاهين) توقيعه على بيان الحركة، موضحا أن "أحدهم" وقع نيابة عنه.

(١٠) وقع أبو الفتوح مع عدد من قيادات الإخوان على بيان كفاية، لكنهم غابوا عن أنشطتها.

(١١) نور: من الموقعين على بيان (كفاية)، شارك في اجتماعات تأسيسها، ورغم إعلانه التزام حزبه، بعد الموافقة عليه، بقرارات الحركة، فاجأها بإعلانه ترشيح نفسه، لتحدث ما يشبه القطيعة بينهما.

(١٢) موقف هشام من الإصلاح التدريجي شهد انقلابا كاملا، عقب صيغة تعديل المادة "٧٦". هشام شارك في حملات داخلية وخارجية تحت شعار "تغيير جذري.. والآن"، ووصل الهجوم الحكومي عليه إلى درجة التخوين. ترك (المصري اليوم) ويسعى لتأسيس مؤسسة صحفية ليبرالية مستقلة.

مظاهرة شبرا مصر[1]..
الشارع ينتظر من يقوده

(شبرا مصر).. هكذا عرفناه "ها" تميزاً عن مئات الشبراوات في مصر.

نشأ مع تأسيس محمد على مصر الحديثة، وارتبط في ذاكرتنا بالطبقة الوسطى، رغم تكونه بداية على أيدي الأثرياء.

لـ(شبرا مصر) في ذاكرة من عاشوها ومن اقتربوا منها طبيعة خاصة، بيئة مُنفتحة.. أكثر تقدماً اجتماعياً.. قادرة على احتضان نماذج لثقافات مختلفة، والأهم تجلي الوحدة فيها بين عنصري الأمة.. دائماً ما تقفز مع "اسمه/ اسمها.. الحي/ الشارع/ الحتة"، نماذج تعايش وتداخل بين العنصرين تجاوزت كل ما مر بالوطن من أزمات.

لـ(شبرا مصر) صورة أخرى موازية.. شعبية، "ولد بيكلم بنت على التلتوار" كما أبدع (عبدالرحمن الأبنودي). وشقاوة شبابها.. وجمال ورقة بناتها. ومنها خرجت.. وفيها عاشت أسماء، ظلت وفية لروح المكان، تتذكرها في أفلامها، (يوم حلو ويوم مر) لـ(خيري بشارة) و(أحلى الأوقات) لـ(هالة خليل)

و (فيلم هندي) لـ(منير راضي)... وقبلها (بداية ونهاية) لـ(صلاح أبو سيف). وكتابات.. رواية (شبرا) لـ(نعيم صبري) وإبداعات (فتحي غانم)، خاصة روايته (بنت من شبرا)، التي تحولت إلى مسلسل/ مشكلة تكشف عن تشوهات تلفت بظلالها على الوطن كله. ومذكرات المؤرخ/ المفكر (رءوف عباس) (مشيناها خطى كتبت علينا)، ودراسات وأبحاث المؤرخ (محمد عفيفي المنشغلة) بـ(شبرا مصر).. كحالة تاريخية اجتماعية ثقافية.. وكتلخيص لمصر مأزومة ومأمولة.

"يا أهل شبرا.. يا وحدة"، شعار الدعوة للتظاهرة التي شهدها الشارع، بدأت السادسة بعد عصر الأربعاء.. تذكيرا بفضيحة هتك الأعراض التي ارتكبها مجرمو الفكر الجديد يوم الأربعاء الأسود.

اهتمت كل وسائل الإعلام العربية والأجنبية بالمظاهرة، لكنها توقفت، فقط، هي وصحف بريطانية وأمريكية عند مشهد واحد.. موقف الأمن منها. ولم يلتفت أحد لدلالات كثيرة شهدتها المظاهرة.. أولها للمكان بطبيعته الاجتماعية الخاصة، والأهم.. أن المقولة التي يصر البعض عليها منذ أشهر لها وجودها الواقعي، "الشارع ينتظر من يقوده".

بدأت المظاهرة بحوالي ١٥٠ ناشطا، وانتهت بأكثر من ١٥٠٠ متظاهر. قطاع هتف ضد مبارك.. وآخر اكتفى بالتحرك مع النشطاء مستمعا لهتافاتهم.. لكنه سار معهم كيلو متر تقريبا ذهابا وعودة في الشارع.

[illegible] (الوعاء سعيد).. المحجبة وغير المحجبة، كيف أنهم لم [illegible] صعوبة كبيرة في إقناع فتيات بالانضمام للمظاهرة.. نقاش [illegible] ثم حسم الموقف بالانضمام. نفس السيناريو تكرر [illegible] (محمد توفيق) القادم من الإسماعيلية، وصف لنا تردد [illegible] البعض لخطوات متصرفين ثم التفاتهم للخلف [illegible] للمظاهرة. ويرصد موقع (الوعي المصري) بكاميرا [illegible]) [1] تطور موقف الناس، فرجة مع علامات دهشة [illegible] .. ثم انضمام تدريجي للمظاهرة.

[illegible] تلبى من المئات ومعها حلقات نقاش عقب [illegible] المظاهرة، فتحها الناشطون فوق محطة مترو أنفاق روض [illegible] على مقهى شعبي وعلى محطتي أتوبيس، تكشف عن [illegible] .. وبالطبع عن تعتيم وتشويه وعي لعقود. [illegible] يبدو سؤالاً نعرفه جميعاً.. "طب مين بداله؟". هناك [illegible] هناك من خرج محتفظاً بحيرته.. "طب مين بداله؟".

[illegible] من انضموا للمظاهرة لطيف ألوان الشعارات [illegible] من شعارات حزب العمل الإسلامي المجمد إلى [illegible] الحمراء بالمنجل والمطرقة.. وما بينهما. لم ينشغلوا بها.. [illegible] انضموا و"هتفوا ضده".

[illegible] مرحباً بالعة ذرة نموذج للإفقار.. توقف عندها [illegible] كثيراً، لم تخش تعليق ملصق (لا لمبارك). و(معلمة) [illegible] بحماية شعبية المتظاهرين، للأسف لم نستطع معرفة اسمها، [illegible] الغرض من المظاهرة حتى تركت محلها إلى حيث

تقف (د. عابدة سيف الدولة ود. ليلى سويف) [٣] وزميلاتهما.. سلمت عليهن مُرحبة يدا بيد.. ورافقت المظاهرة ذهاباً وعودة، وما أن يقترب أحد بلطجية (الحزن الوطني) من المتظاهرين حتى تنهره باسمه وباسم أمه!!.. ليقفون بعيداً ليعبروا عن "فكرهم الجديد".

مُستأجرو "الفكر الجديد" بدو أقلية وسط الشارع.. معزولة شعبياً بهتافاتها المُسجلة، من نوعية "حسني.. حسني.. هوو.. هوو..".. لكنهم طوروها إلى "مبارك ميه ميه.. حتى من غير ديمقراطية".. وارتفع مستوى فكرهم أكثر بهتاف "أحه، أحوه.. قال ليه عاوزين يشيلوه" [٤]. وأكثر فأكثر بإشارات "الأصبع الوسطى" التي التقطتها كاميرا وكالة (الأسوشيتدبرس) ونقلتها كبريات الصحف عنها، منها (سان فرانسيسكو كرونيكل) الأمريكية.

"المعلمة" رحبت وحمت، لكن مجموعات شبابية، بعد المشاركة ودعوات للنقاش مع المحامي (أحمد سيف الإسلام) [٥] وقيادات حزب العمل، طورت الترحيب إلى دعوة ملحة لتكرار التظاهر في نفس المكان.. أو في غيره، فالمتظاهرون اتفقوا على تكريس يوم الأربعاء للتذكير بفضيحة هتك الأعراض.. وحددوا مكان المظاهرة القادمة في الزيتون.. لشارع (طومان باي بنتظرهم).. في السادسة مساء الأربعاء القادم أمام كنيسة العذراء[٦].

٢٠٠٥-٦-٢٦

هوامش

(١) (شبرا مصر) اختارها مخرجنا يوسف شاهين وتلميذه خالد يوسف لفضاء تدور فيه أحداث (هي فوضى).

(٢) مصور [illegible]، وثق بكاميرته التحركات الإصلاحية السنوات الثلاث الماضية، الآن من أبرز المدونين العرب.

(٣) د. عايدة: من أبرز الناشطات في الحملة الشعبية من أجل التغيير. د. ليلى: أستاذ رياضيات بعلوم القاهرة، ناشطة حقوقية بارزة.

(٤) فضلنا الإتيان بنص الهاتف المسجل توثيقاً لما حدث.

(٥) ناشط حقوقي بارز، مدير مركز هشام مبارك للمساعدة القانونية.

(٦) لاقت (مظاهرة العذرا) قبولاً دافئاً من أهالي الحي، من التصفيق لها ومدها بكميات هائلة من المياه المثلجة.. إلى ترديد الهتافات معها.

قانون الجمهوركـــية

"شفافية" هتك الأعراض

لـــم تكن شجاعة "منهم".. ولا جُبناً من (محمد أبو سويلم)، فما بالك بـــ"القوارير".

لا جديـــد: فأضـــعاف أضعاف جرائم النظام و"تفرعاته" يوم الاربعـــاء الأســـود، تحدث يومياً في كمائن وأقسام الشرطة وفي المعـــتقلات، وفـــي مـــنازل وشوارع من يُراد اعتقالهم أو تأديبهم لاتهـــامهم أو خلافهم عن حق أو باطل مع هذا المسؤول أو قريب مسؤول أخر.

لا جديـــد: فما كتبه سمير رجب [1]-الأب، والمقتدى به -على مـــستوى أخر- عمرو عبدالسميع [2] وعبدالله كمال[3]-الابن، وما زعمه (أحمد موسى/ الأهرام) في فضيحة مهنية عن "الزميلة التي مـــزقت ملابـــسها بنفـــسها!!، ليس بعيداً عن شتائم رددها "بلطجية النظام" ضد المعارضين وعابري السبيل، وليس بعيداً عن الصورة [4] "المعبرة عن النظام" التي انفردت بها (الوفد) أول أمس، وليس بعـــيداً عـــن شتائم وضربات وجهها (على الصغير) عضو مجلس نقابـــة المحامين (حزن وطني) لصحفيين.. يؤدون عملهم، فالنظام

بكل تفرعاته يُعبر عن نفسه بمفردات حكم بها ٢٤ عاماً.. منفرداً أو شراكة.. فكر قديم وجديد.

لا جديد: فالنظام، كما اعتاد، ضبط تصرفاته على إيقاع البيت الأبيض، معتمداً على ما وصفه رجاله بضوء أخضر لسحل المعارضين.. ولن ما تردد عن تحويل (جمال) لأربعة من قيادات "فكره" للتحقيق "تكتة".. ولن تصريحات (بوش) الخميس الماضي لـ"الاستهلاك الدولي".

الجديد: فقط.. هو "شفافية الفكر الجديد" في تطبيق شعاراته عن "حقوق المواطنة"، دون خجل.. أمام كاميرات العالم.

في المشهد: صور وشرطة الأب [*] ولافتات وشعارات مبايعته.. وإفرازات سياسات حكمه ٢٤ عاماً، وميليشيا رجال الابن و"شلته".. وإفرازات إضافية لسنوات شراكته في الحكم. نفس الجُناة ونفس المستفيدين، وضحايا مُعارضات وصحفيات.. ومُحايدات اعتقدن أن بُعدهن عن "الشر" سيقيهن أنيابه.

في المشهد: ضريح لزعيم مصري.. وناشطون عرفوا المكان البديل لمظاهرة كفاية. بدأوا ترديد هتافاتهم، وأمامهم- تجاوزاً- متظاهرون يرددون "يا جمال قول لأبوك.. إحنا معاك على طول.. على طول".. "يا مبارك دوس.. دوس.. إحنا معاك من غير فلوس.".."حسني.. حسني.. حسني.. هو هو".. "الحزب الوطني قال لنا.. حسني مبارك في دمنا".

في المشهد: قيادات شرطة، ومُجندو أمن مركزي بأجسام مُرهقة ووجوه لا تفهم ما يحدث، وعشرات الفقراء و"مُشردو

استنشاق الكلمة".. وجدوا فرصة عمل لساعات، كـ"مرتزقة" يضربون خلالها "أعداء الوطن".. دعماً لنظام أفقرهم وحولهم إلى وحوش، في تنويعة أخرى على "سبع ليل" [٦] فيلم (البرئ).

في المشهد: مراسلات وكالات أنباء أجنبية ورموز سياسية ومهنية وأكاديمية. وفي التالي لواءات يشيرون نحو المتظاهرين، ليُصنع كردوناً سريعاً، يختلط داخله الجميع كهدف مشترك لبونيات وشلاليت وضربات غصي وشتائم من "المتنفي" [٧].

لن نتوقف عند ضرب الزملاء (عبدالحليم قنديل وجمال فهمي ومحمد عبدالقدوس).. و (د. مصطفى كامل السيد) [٨]، بمواطنيتهم.. وثقلهم السياسي والمهني كل في دائرته.. ومعهم عشرات المتظاهرين. ففي "كردون التأديب".. (سارة الديب) مراسلة الأسوشيتدبرس [٩].. والناشطة (إيمان عوف).. وغيرهما، مجرد نماذج.. فساحة "الاستباحة" امتدت من حدود السيدة زينب حتى وسط البلد.. وطالت عشرات "القوارير" [١٠].

أثناء تغطيتها انتخابات ٢٠٠٠ تعرضت (سارة) لاعتداء بشع من مسجلات خطر يقودهن ضابط، لمحاولتها - كجزء من عملها - رصد وقائع تزوير. لم تنس الجريمة التي مرت عليها خمس سنوات، لكنها تؤكد أن ما حدث الأربعاء الماضي كان أبشع. تروي: أبرزت لهم بطاقتي كمراسلة لوكالتي.. وسمعوني أتحدث مع زملائي في المكتب، مع ذلك حاصرونا بين حائط وسيارة مركونة، شعرت أنني فريسة، وأخريات، بين أيدي وحوش، وبونيات وشلاليت وشد شعر بهمجية.. وشتائم بشعة لنصف ساعة

تقريباً، لم يهتم اللواءات بصرخاتنا وبكائنا، سرقوا نظارتي ومزقوا ملابس بعضنا.

(سارة علاء الديب) [11] التي تؤكد أن القائمين بالتأديب كانوا شرطة بملابس مدنية.. لم يُنقذها إلا تحايل مصور وكالة أجنبية على رُتبة: "دي عيانة بالقلب ولو ماتت ح تبقى مشكلة ليكم".. فتدخل نقيب ومد يده وأخرجها من "المطحنة".

لم يحدث لي شيء تقريباً". كانت (رنوه يحي) مراسلة وكالة الأنباء الألمانية تقارن إصابتها بالأخريات. (رنوه) التي أدانت وكالتها الاعتداء عليها نفذت بجلدها -مؤقتاً- مع بداية الضرب، لكن عملها يقتدي المتابعة، فألحت على لواء بملابس مدنية كان يهدد (محمد عبدالقدوس).. "ح نبهدلك" - أن يتركها تمارس مهنتها، فدفعها بقسوة.. كفتها على وجهها. والحصيلة خدوش وسحجات بالركبتين وبأنحاء متفرقة من جسمها.

داخل كردون التأديب (إيمان عوف) الناشطة بمركز دعم التنمية، والتي نالت جزءاً مما نالته مراسلة (الأسوشيتدبرس). ضرب وشد شعر وشتائم، وحماها من التحرش "تحضين" الناشط (تامر وجيه) عليها. (إيمان) تحدثت عن ضابط أمن دولة تعرفه جيداً كان يصطحب بلطجية "الحزن الوطني" لينتقي من الشباب من يتم طحنه جانباً. هنا حالات كثيرة لن نتوقف عندها.. أبرزها مذبحة بصيدلية الدواوين، وعندما حاولت د.عايدة سيف الدولة [12] ود.ماجدة عدلي [13] إنقاذهم، نالنا نصيبهما من الضرب والشتائم وتمزيق الملابس.

(أيمــان) لم تصدمها التجربة على بشاعتها.. وبدأت الدعوة لمظاهــرة قاصرة على الفتيات، ليدرك نظام البلطجية أن رسالته، على بشاعتها، لن توقفهن.

لــم تــبدأ "اســتباحة" الناشــطة (نــشوى طلعت) [11] داخل "الكــردون"، فمــع محاولتها الدفاع عن زميلها (خالد عبدالحميد)، أثــناء "عجنه"، أشار عليها لواء.. "هاتو البت دي". جابوها، شدها مــن شــعرها.. "تعالــي يابنت الكلب" وأدخلها المطحنة.. ضرب وهتك عرض. تقول "كان هدفهم واضحاً.. اذلالنا، لم يتركوا جزءاً مــن أجــسامنا دون انــتهاكه بوحــشية، سحلوني وحاولوا خلع بنطلونــي.. فتــشبثت بــه". الطــريف أن (نشوى) عندما حاولت اســتفزاز نخــوة أحــد منتهكيها: أنت مالكشي أخوات بنات. رد بيوكس.. وبــ"أختي يا (ك..) ما تهتفشي ضد الرئيس".

لم تنته المعركة، فمع انتقال المتظاهرين إلى نقابة الصحفيين، حيث عقد (جورج إسحق) منسق كفاية و(عبدالحليم قنديل) متحدثها الرسمي مؤتمراً صحفيا على سلالمها، تحرك بلطجية النظام على نغمــات "يــا جمــال قول لأبوك.. احنا معاك على طول.. على طول".

أمــام نقابتــي الصحفيين والمحامين أظهر الفكر الجديد كل أوراقــه، (ماجــد الشربيني) [15] أمين شباب "الحزن" وأحد أذرع (جمــال) يتحــرك بموكبه، تفسح أمامه الطريق.. ويطلق أوامره كأحد "قيادات الدولة".. فيمتثل اللواءات ومن تحتهم، وحوله شوهد (مجــدي عــلام) [16] و(محمد حنفي) [17] و(محمد الديب) [18]..

وغيرهم من القيادات الوسطى بالفكر الجديد.. و"عشرات المشردين" على حد وصف وكالة الأنباء الفرنسية.

لن نتحدث عن "طحن" المتظاهرين "الذكور" بعد خطفهم إلى جراج النقابة وعن دماء سالت فعلاً، بل عن الزميلة (إيمان طه). مريضة بورم ليمفاوي.. يستدعي جراحة خلال أيام، كانت ترقد في مستشفى جراحات اليوم الواحد بزهراء عين شمس الذي دخلته بعد إصابتها بنزيف حاد وشرخ بالحوض، ومنه أرسلت بلاغها للنائب العام.. وفيه تلقت اتصالات -كما زميلات بـ"الدستور" من منظمات دولية وأمريكية وسويسرية معنية بحقوق الإنسان وبحماية الصحفيين. كان صوتها واهناً وهي تروي ما حدث لأخريات في ضريح سعد، لكنها اضطرت للتوقف عند حالتها الخاصة، فالبلطجية ركزوا "شلاليتهم" على مكان الورم عندما رأوها تصرخ أكثر منه.. "تحت الصرة"، بالطبع سرقوا كل ما في شنطتها.. وهي المُغتربة عن القاهرة. تضيف: ما ألمني أن يدفعوا شباباً صغيراً لا يفهم شيئاً لضرب فتاة في أماكن حساسة.. يشوهون فقراء دمروهم بسياستهم.

وكما تمسكت (إيمان عوف) و(نشوى طلعت) بحقهما في التعبير عن رأيهما.. تصر (طه) على استمرارها في تغطية الأنشطة السياسية كجزء من عملها.

مهنة (إيمان) لم تحمها.. وهي المهنة التي استفزت من يفترض إنه من قادة "قلعة الحريات".. جارة "قلعة الرأي".

"يعني ابه صحفيين يا ولاد.. وولاد.. يا.."، صرخ (علي الصغير) في الزميلين (عبير العسكري) و(وائل توفيق) من "الدستور". (الصغير) القيادي في "الحزن الوطني" ومجلس نقابة المحامين والموظف لدى (إبراهيم سليمان) استدعى موظفي النقابة ليتعاونوا معه في الضرب، وهو يواصل شتائمه لـ"الأسيرين".. ومهنتهما.

بدأ الصغير احتفاءه الخاص بقلم على وجه عبير وأنهاه بـ"بركة" فوقها محاولاً خنقها.. مع خبط رأسها في الحائط، لتخرج من "احتفائه" بخلع في الكتف.. لكن تنتظرها علقة أخرى أمام النقابة.

عبير تلقت شتائم محامين آخرين رفضوا اعتذار عضو المجلس (خالد أبو كريشة) لها.. في حين تعاطف معها فريق ثالث ذهب معها أمس لتقديم بلاغ للنائب العام ضد الصغير والموظفين الذين شاركوه ضربها وزميلها وائل.

الصغير ومؤيدوه لم يحتجوا على وائل طوب لإنهال من بلطجية "حزبه" على "كلمة للحريات". ولم يحتجوا على ما تعرضت له زميلتهم (رابعة فهمي)، التي رفض مكتب النقيب التحرك معها لتقديم بلاغ ضد من انتهكوا جسدها ومزقوا ملابسها، بحجة أن الاعتداء عليها وقع خارج النقابة!.

رابعة بدت مُتحدية لمن اعتدوا عليها، عادت ثانية لتمسك بالبلطجي الذي مزق ملابسها. تقول: خلاص.. مما كنت سأخجل.. ما فعلوه فعلوه، كان همي أن أمسك به.. وعندما

جـــررته بالقوة لرئيس مباحث العاصمة ولمسؤول نقابة المحامين بـــأمن الدولة (أحمد..).. أجبروني على تركه بمزيد من الضرب. فـــي نقطـــة شرطة قصر النيل رفضوا تحرير محضر بما حدث لهـــا.. وعندما استنجدت بعضو المجلس (جمال تاج الدين) أخبرها انه موش فاضي.

لـــم ينفرد فريق الصغير بالاعتداء على عبير، التي تواصل: حاولنا الهرب أنا وزميلتي في الجريدة (شيماء أبوالخير)، شاهدت بعينـــي (ماجد الشربيني) يشير لأحدهم نحونا، ركبنا تاكسي لأفاجأ بلـــواء بملابـــس مدنـــية يشخط في السائق.. فتوقف، ثم استدعى تابعـــيه.. أنزلونا لينهال علي رجال أمن الدولة بالضرب.. كل ما فعلـــته أننـــي وضعت يدي على رأسي و"إتكورت" على نفسي، لم يكن أمامي شيئ أخر لتفادي ضربات أيديهم وأحذيتهم.

عبيـــر تقـــدمت ببلاغ أخر ضد الشربيني.. ليس للنائب العام وحـــده.. بـــل أيـــضاً للمجلـــس القومي لحقوق الإنسان ولنظيره "للمرأة".. ولمنظمات دولية اتصلت بها وبزميلتها شيماء [19].

"أول مـــرة أغطـــي مظاهـــرة".. قالـــت (شيماء أبوالخير)، وأضـــافت: لـــم أفهم معنى إشارة الشربيني ناحيتنا.. كل ما فعلناه ممارســـة عملـــنا. عبير على سور النقابة تصور المظاهرة.. وأنا أتابـــع وســـط المتظاهرين، عندما أوقف لواء أمن الدولة التاكسي فوجـــئت، بمـــن عـــرفت فيما بعد انه (نبيل سليم) معاون مباحث بـــولاق الدكرور، يخلعني بقسوة من التاكسي ويصرخ في شخص أخر.. "هات النسوان". بدا أنهن مسجلات خطر.

شيماء التي بثت صورتها، مُغمى عليها، وكالات الأنباء نقلاً عن موقع (الوعي المصري)، استطردت: برضه مافهمتش إلا لما لقيتهم بيتلموا وينزلوا فيه ضرب بالأحذية وبأيديهم.. وشتائم قذرة. دقائق ولم أعد أهتم بضرباتهم.. كان همي أن أتشبث ببنطلوني.

سياسة الفكر الجديد واضحة.. "إباحة" الناشطات والصحفيات لبلطجيته، سياسة نتيجتها رأها مخرجنا الراحل (صلاح أبوسيف)، بعد عام من تولي مبارك الحكم، رداً على جدل البعض حول مبررات الثورة في فيلمه (البداية)، هي الشرارة التي تشعل ثورة الشعب، لإنها تعري النظام من كل ما يُضلل به وعي البسطاء.. ومن يُستبعد من الاهتمام بالشأن العام.

سياسة "الاستباحة" التي طورها الفكر الجديد [20] لم تتوقف عند المعارضات ومن تتابعن معارضاتهن. فلم تركب الزميلة (نوال علي) [21] سيارتها مُتوجهة إلى نقابتها للتظاهر مع "كفاية". اليوم موعد دورة الكمبيوتر ولا تريد أن تُسجل غياب. حاولت توضيح ذلك لنقيب شرطة، أقسمت لبنها لن تنسى وجهه مدى الحياة، فحذرها من أن "نتوع كفاية ح يتضربوا". قالت له طول عمر النقابة فيها مظاهرات وبندخل عادي.. سأمر بسرعة. تحركت.. فلاحظته يُشير لمجدي علام نحوها. لاحقها الأخير، أسرعت في خطواتها لكنه أشار بدوره لأخرين.

ارتفع هتاف "يا مبارك دوس.. دوس.. احنا معاك من غير فلوس."، ومعه شاهدنا ما تعرضت له (الزميلة).. كان الأكثر

قسوة، عشرات البلطجية والمشردين احاطوا بها.. لم تعد تظهر وسطهم.

مع النحيب واصلت تألمها: كل ما استطعت فعله لن أبقى مرمية على وجهي.. وألا أسمح لهم باغتصابي.. بشع بشع ما حدث. ما زال صوت تمزق الملابس يرن في أذني.. جسمي كله مكسر من السحل على الأرض والدوس عليه بالأقدام.. بشع بشع.

البشاعة كانت تعبير كل من تابعوا الحفلة الوحشية التي نظمها الفكر الجديد لمواطنة "غير مسيسة".. حتى أن بعض المشردين/ المستأجرين انصرفوا تقززا، سمعهم مراسل وكالة الأنباء العراقية يسبون "دين أم المشرين جنيه بتوعهم.. دي أعراض".

أنقذ (نوال) الزميل (حسين متولي) [11] وهو يستنجد بقادة الشرطة الذين يحمون بلطجية الوطني.. بلا جدوى، أحاط بها وتحمل جزءا من الوحشية.. وخلع قميصه لستر ما تعرى منها.

الحفلة الوحشية خرج منها بلطجية الفكر الجديد بغنائم مادية.. طقم ذهبي- كوليه وإنسيال- وموبايل و"٦٠٠" جنيه. شاهد (حسين) الكوليه في أيدي أحد بلطجية "فكرهم" ولفت نظر لواء إليه، لكنه دفعه مع الزميلة إلى تاكسي بعيدا عن كاميرات المصورين والفضائيات التي نقلت فضيحة "فكرهم" للعالم.

وسط نحيبها الذي لم يتوقف لربع ساعة- مدة اتصالنا بها- كان أكثر ما أوجع (زميلتنا) هو ما كتبه أحمد موسى مندوب "الأهرام" بالداخلية. وسط حالة ضحك هستيري ممزوج بنحيب

علقـت: أنـا خربـشتني في ظهري وعورت باقي جسمي.. أنا سحلتني على الأرض.. أنا قعدت أضربني بالشوم والجزم.. أنا قطعت هدومي أمام المصورين والفضائيات. ولم تكمل.

(زميلتنا) ظلت حتى السادسة صباح الخميس تدلي بأقوالها ومعها شهود ما حدث لها، كان معها النقيب (جلال عارف) وسكرتير النقابة (يحي قلاش) ومحاميها (سيد أبوزيد) وستة شهود منهم الزميل (حسين متولي) وفريق محامين من منظمات حقوقية، لتحرر الجنحة رقم٧١٦٥٥ لسنة ٢٠٠٥ قصر النيل ضد (مجدي علام ومحمد حنفي ومحمد الديب) وأخرين، كما أقامت - وتضامنت معها النقابة ومنظمات حقوقية - دعوى مدنية ضد (نبيل العزبي) مدير أمن القاهرة، وأمس تقدمت ببلاغ للنقابة ضد الأهرام.. وتضامن معها عشرات الزملاء.. هتفوا باسمها و"جرسوا" (أحمد موسى) عضو المجلس ومفبرك فضيحة الأهرام، الذي أمام انتقادات الزملاء الحادة أنكر إنه يعنيها، ووعد بتكذيب ما كتبه.

شفافية الفكر الجديد في استباحة الأعراض فتحت أبواب الجحيم على نظامه، لفضيحة دولية وتحقيقات منظمات عالمية [٢٣]، رصدت كل الوقائع والأسماء، للمطالبة بمحاكمة دولية لمنتهكي الأعراض، ولاعادة فتح ملف حقوق الإنسان في مصر، بدأت هيومان رايتس بتحميل العادلي المسئولية والمطالبة بتحقيق محايد تمهيداً لمحاكمته، وتزامنت مع حملات إنترنت لدعوة نشطاء سلام غربيين كدروع بشرية تحمي المتظاهرين من بلطجية "فكرهم"..

كمـــا فعل بعضهم في قرية "سرالدو" حماية للفلاحين من الإقطاع الجديـــد قبل شهور.. وكما يفعلون منذ سنوات بالأراضي العربية المُحتلة.

عـــربياً دعـــا (تجمع الباحثات اللبنانيات) لحملات احتجاجية تـــضامناً مع من المُعتدى عليهن. وفي القاهرة.. شكلت مجموعة مـــن أمهـــات مـــن اعتدى عليهن (رابطة الأمهات المصريات)، ودعتن لاعتبار الأربعاء القادم يوم حداد عام، ترتدى فيه الملابس الـــسوداء، احـــتجاجا على الانتهاكات.. وللمطالبة بمحاكمة وزير الداخلية وقيادات وزارته وقادة ميليشيات "الحزن الوطني".

٢٠٠٥-٥-٢٩

هوامش

(١) رفـــع سمير رجب من وتيرة شتائمه للمعارضة، أقذرها ما تعلق بحادث الفنان عبدالعزيز مخيون.

(٢) استغل عمـــرو برنامجه (حالة حوار) لتوجيه الشتائم للمطالبين بالإصـــلاح. كان مرشحا بقوة لرئاسة تحرير الأهرام.. ولم يفز بها، ربما بسبب حادثة شهيرة له أثناء عمله بمكتب الجريدة في لندن.

(٣) ضـــيف دائـــم قـــبل وبعد توليه رئاسة تحرير روزاليوسف على البرامج التليفزيونية لتوجيه اتهامات باطلة للإصلاحيين.

(٤) كان بلطجية الوطني يلوحون بـــ(أصابعهم الوسطى) لمتظاهري (كفاية)، وتكررت نفس الصورة فيما بعد بمظاهرة (شبرا مصر) ونشرتها صحف أمريكية ومحلية.

(٥) أعتبـــر بلاغ (كفاية) للنائب العام رئيس الجمهورية السيد محمد حسني مبارك كالجاني الأول في فضيحة هتك الأعراض، بصفته المسئول المباشـــر عن أعمال الشرطة بكل عناصرها حسب الدستور (المادة ١٨٤، والمادة ١٤١).

(٦) يتمـــرد (سبع الليل) جندي الأمن المركزي المغرر به، بالأداء العبقـــري للراحل (أحمد زكي)، ويطلق النار على قادته، فيما اعتبر نبوءة بأحداث الأمن المركزي عام ١٩٨٦، فالفيلم عرض قبلها بشهور.

(٧) خضع نشر تفاصيل الانتهاك لرغبة المعتدى عليها، والتزمنا بما وافقت كل منهن على نشره.

(٨) قنديل: رئيس التحرير التنفيذي، حينها، لجريدة (العربي) والمتحدث الرسمي باسم (كفاية)، رئيس تحرير صوت الأمة الآن. فهمي وعبدالقدوس: عضوان بمجلس نقابة الصحفيين. د. مصطفى: رئيس مركز بحوث الدول النامية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة.

(٩) من الصحايا أيضاً: لينا الغضبان (مراسلة الجزيرة)، جيلان ريان (وكالة أنباء لوس أنجلوس)، لمياء راضي (وكالة الأنباء الفرنسية).

(١٠) عدد الضحايا وفقاً لبلاغ (كفاية) للنائب العام ٦٤ معتدى عليه، منهم ١٩ فتاة وسيدة، وهناك شهود على عشرات أخريات فضلن الصمت.

(١١) ابنة الأديب الكبير علاء الديب.

(١٢) ابنة الفقيه القانوني والقيادي القومي الراحل د.عصمت سيف الدولة، ناشطة حقوقية بارزة، من أبرز قادة الحملة الشعبية من أجل التغيير.

(١٣) من أبرز ناشطي مركز النديم للتأهيل النفسي لضحايا العنف.

(١٤) ممثلة شابة.

(١٥) محام من حلوان، الآن أمين عضوية الحزب، اتصل بنا فيما بعد ليقسم أنه بريء.

(١٦) عضو لجنة السياسات، وأمين مساعد لجنة الحزب الوطني بالقاهرة.

(١٧) عضو بارز بالحزب الوطني بمنطقة السيدة زينب، اتهم رسمياً باستئجار البلطجية.

(١٨) رجل أعمال نشط بين فريق النوريث، شوهدت أتوبيسات محملة بالرجال يوم الفضيحة ترفع لافتات تأييد لمبارك تتجول في شوارع القاهرة، يملك عدة شركات، أبرزها (الرضوى).

(١٩) تعرضت (شيماء وعبير) لتهديدات ممن زعموا انتمائهم لشخصيات نافذة للتنازل على البلاغ، ولهما بعد حفظ البلاغ لكن المحكمة الأفريقية لحقوق الإنسان قررت اختصاصها بمحاكمة المتهمين.

(٢٠) محمد كمال: المتحدث باسم لجنة السياسات. عرف كسكرتير شخصي لـ(جمال)، برز ما حدث لجريدة (الفيرت) الفرنسية بأنه تعبير عن مشاعر حماسية وانفعال زائد لمؤيدي مبارك! (!).

(٢١) طلقت بعد الحادث بأيام، ثم فصلها (ناجي الشهابي) رئيس حزب الجيل ورئيس مجلس إدارة الجريدة لرفضها التنازل عن بلاغها.

(٢٢) تعرض (حسين) لاعتداء وحشي من بلطجية الحزب الوطني بالزيتون عقب ظهوره على فضائية (دريم) متهماً الحزب بأنه مرتكب الجريمة.

(٢٣) أدانت كافة المنظمات الحقوقية المحلية والدولية جريمة هتك الأعراض، وطالبت بتحقيقات محايدة، والتزم بعضها بمواصلة ضغطه على النظام حتى معاقبة المجرمين، ونظمت مظاهرات تضامنية مع الضحايا في كوريا الجنوبية، وفرنسا.. أكثر من مرة، وبلجيكا، وأستراليا.

الخيـوط

الرجل الذي لم يعد غامضاً[1]

للرئيس مبارك حفيدان.. (محمد) الاسم الأكثر انتشاراً عربياً، و(عمـر).. الـذي تلقى (مبارك) خبر ميلاده أثناء عشاء للرئيس الألماني فبراير ٢٠٠٠، واتفقت أسرته على الاسم تعبيرا عن محبة ابنها للواء (عمر سليمان).

والعلاقـة بين سليمان ومبارك كانت عادية في سياقها المهني حتـى صيف ١٩٩٥. حدث التحول مع قمة أديس أبابا الافريقية. فـي اجتماع خاص سبقها أصر سليمان على أن يأخذ مبارك معه سيارته المـصفحة، أعرب مستشارو الخارجية عن دهشتهم لان ذلك يعني إهانة الأثيوبيين، لكن سليمان تمسك برأيه. وفي الثامنة و١٥ دقيقة صباح ٢٦ يونيو غادر الموكب مطار أديس أبابا. كان سليمان يجلس مع مبارك في المقعد الخلفي حينما انطلق رصاص مدافـع رشاشة بأيدى ثلاثة مسلحين.. ومن أسطح مبان مجاورة. أمر سليمان السائق بالدوران للخلف، بالطبع ما كان لسيارة عادية أن تتحمل هذا الوابل.

أنقذ سليمان حياة مبارك. تعلق الصحفية الأمريكية (ماري ان ويفر) مؤرخة لتطور العلاقة، تضيف (هآرتس) الصهيونية - التي سبقت (ماري) في الإشارة للواقعة بتفاصيل أقل - انه تصرف "بشكل بطولي" في عملية الإخلاء السريعة، ليصبح للرجل القوي بعد مبارك، محل ثقته وساعده الأيمن.

ماري التي أغضبت أوساط السلطة المصرية بمقالاتها عن محاكمة سعدالدين إبراهيم في (نيويورك تايمز) - يونيه ٢٠٠١ -، لم تكن أول من رصد تنامي ظهوره، فقد سبقتها تلميحات سريعة هنا وهناك، أكثرها وضوحاً ما كتبه (دانيال سوبلمان) [٢] المحلل السياسي لهآرتس ومنظمات اللوبي بأمريكا - منتصف ٢٠٠١ - قائلاً "اتجهت أنظار المراقبين إلى سليمان، رئيس المخابرات منذ عشر سنوات، للشخصية الأكثر قوة، أصابعه في كل الأمور وبتمتع بعلاقة قوية مع الرئيس. في سوريا تتقاطع الرؤوس وتتداخل الأجهزة. في مصر، رجل قوي جداً، وحيد في هذا الحقل، مجهول نسبياً مقارنة بالآخرين، ظهر متأخر على التلفزيون، وهو يبقى غامض سياسياً".

(خالد الشامي) مراسل (القدس العربي) أول من توقف عند صعود نجمه عقب "ظهور علني أخر لرجل الظل والمهمات الصعبة والذراع الأيمن لمبارك، ونجاح دبلوماسي جديد يضيف بُعداً مهماً إلى خلفيته العسكرية وطبيعة عمله".

كانت المناسبة مؤتمر لندن الأول للسلام الذي رعاه "رسمياً" توني بلير بناير قبل الماضي، مراسل القدس أسند لدبلوماسيين

"إعجابهم بذكائه ودرايته بالشؤون الدولية رغم خلفيته العسكرية". يضيف الشامي "بعيداً عن البيروقراطية (الشهيرة) ودبلوماسية البروتوكولات والتصريحات التي يتولاها أحمد ماهر (وزير الخارجية وقتها)، فإن سليمان، أو الوزير في رئاسة الجمهورية كما يسميه الإعلام المصري، يمسك بالخيوط الرئيسية المحركة للسياسة الخارجية لقربه من مبارك وإطلاعه على المعلومات الحساسة".

أجواء أكثر إثارة عن أول ظهور دولي له رصدها موقع muslimedia.com، فـ"المفاوضات رسمياً مستضافة من قبل الاتحاد الأوربي، لكنها عملياً مُدارة من قبل سليمان".

في ذات السياق كتبت (كارولين بي .غليك) بـ(الجوروزليم بوست) (١٧-١-٢٠٠٣)، "ضيف شرف قمة لندن كان عمر سليمان. الذي اشتهر برعاية لقاءات للفصائل الفلسطينية في القاهرة بدعم الاتحاد الأوروبي، جاء إلى الاجتماع متوّجاً.. كان العقل المُوجّه للمحادثات".

حتى فترة قصيرة لم يكن معظم المصريين يعرفون من هو مدير مخابراتهم، في يوليو ٢٠٠٠ بعد خمس سنوات من محاولة أديس أبابا، وفي أول ظهور علني له سار بوقار إلى جانب مبارك وللزعماء العرب في جنازة الأسد الأب. وتوالى ظهوره النسبي حتى أن الـ بي بي سي رأت في ٢٤-١١-٢٠٠١ أن "رئيس أمن مصر، تخلى عن دوره الغامض". تقول ماري ويفر في مقالها أكتوبر قبل الماضي بـ(الاتلانتك مونثلي).. "بقي لسنوات هادئاً في

الظـــل. وبـــشكل غريب بدأ يظهر للعيان. ظهوره كان أشد غرابة لأنه تزامن مع ظهور جمال مبارك".

في سعيها لكتابة تقريرها المطول التقت ماري بزملاء رحلته "المهنـــية"، مـــنهم لـــواء مـــتقاعد تلقـــى تدريبه معه في "فرونز" الـــسوفيتية.. يقول "استدعانا (جمال) عبد الناصر، طلب منا شيئاً واحداً.. أن نرجع معادين للشيوعية، هذا ما فعله سليمان".

ولد عمر محمود سليمان عام ١٩٣٥في قنا، فيها درس ومنها تـــوجه للقاهـــرة عـــام ١٩٥٤، وعمـــره ١٩ عاماً ليلتحق بالكلية الحـــربية. بعـــد تخرجه أرسله عبد الناصر للحصول على تدريب مُـــتقدم فـــي أكاديمية فرونز العسكرية بموسكو. "تربى"- التعبير لمـــاري -- فـــي الحروب العربية الإسرائيلية. مُنتصف الثمانينيات أثـــبت تفـــوقه كخبيـــر إستراتيجي عسكري وحصل على درجتي الـــبكالوريوس والماجـــستير في العلوم السياسية من جامعتي عين شمس والقاهرة، بعدها تولى إدارة المخابرات الحربية.

المعلـــومات عـــن "رجل الظل الغامض" شحيحة جدا.. موقع www.presidency.gov.eg/html/the_cabinet.html فـــي تقديمـــه للمسؤولين الحكوميين بمصر يورده - قبل ثلاث سنوات- الـــرابع بعـــد رئـــيس الوزراء و وزيري الداخلية والدفاع، نفس التـــرتيبة نجـــدها في (EGYPT FACT FILE) الذي يبدو أنه ترتيب رسمي لـــ "الإشراف السياسي". موقع القرار العربي، الذي يـــورد ســـير موثقة لآلاف الشخصيات العربية، اكتفى بذكر اسمه والميلاد في مصر وصفته كمدير للمخابرات العامة.

هـذه الصفة سنلحظ عليها اختلافات طفيفة في مقال أو تقرير لمـن يـتابعون تطورات مصر الأخيرة. أكثر من كاتب - خاصة الإسرائيليين يشيرون لثقافته القانونية مما يعني دراسته للقانون، كـتابات تـصفه بالوزيـر في رئاسة الجمهورية وأخرى برئيس مجلـس الأمـن القومـي أو رئيس جهاز الاستخبارات المركزية المصرية، وفي المقال ما يوحي بأنها تشمل من المخابرات العامة.

وبعـيداً عـن تلمـيع ماري لتزامن ظهوره العلني مع بروز جمـال، ارتـبط تآكـل الغمـوض حـوله بتسلمه ملف القضية الفلـسطينية، خاصـة فـي ظل غياب السفير المصري عن (تل الـربيع) المُحـتلة، فـلا نكاد نلتقط اسمه "إعلامياً" بعيدا عن هذا الملـف. وينـسب خالـد الـشامي لمـسؤول أمني فلسطيني أن "المخابـرات المـصرية ورئيسها يتعاملان مع القضية من منطلق وطني وقومي وبحرفية عالية تثير الاعجاب".

هـذه الحـرفية اشـارت علـيه الاسرائيليين غالباً.. والفصائل فلـسطينية نـادرا، فـنجد هجـوماً علـى رحلاته بعد كل عملية استشهادية كما كتب (جي، باخور) في (يديعوت) ٢٠-٦-٢٠٠٢، وتكـررت ذات النبـرة أكثر من مرة، منها تأكيد (سمدار بيري) أيـضا فـي (يديعـوت) ١٧-١٠-٢٠٠٣ أن "الجنـرال وزيـر الاسـتخبارات، لم يعد ضيفاً مرغوبا في القدس". وتبلغ الانتقادات مداها نوفمبر ٢٠٠٣ بالمطالبة بمنع تدخل مصر "المُعادي"، فموقع (دبـكا) الـصهيوني الذي يديره ضابط الموساد (جيورا شميث)، شـن علـيه هجوماً حاداً ٢٣ يوليو ٢٠٠٣، فبعد سلسلة أكاذيب،

بينتقد تجميع الفصائل الفلسطينية واستعادة مصر لدورها المؤثر في الصراع.. ويلمح إلى دوره في تقارب متوقع – لم يتحقق مع ايران.. ونجاح – أيضاً لم يتحقق – في إقناع واشنطن بتعامل مباشر مع حماس. وفي المقابل تؤكد هأرتس ٨-٧-٢٠٠٢ انهم يتعاملون معه.. "كنائب وإن لم يعين في المنصب رسمياً". غير ان يديعوت، عقب نفي مبارك توريث نجله، تنقل في ٥-١-٢٠٠٤ عن أحد قادة الموساد أقام علاقات وثيقة وحميمة مع سليمان، انه تحدث معه مرات عن "فرصه للوقوف على رأس الهرم". ولن سليمان لم يكتف بالنفي بل "شرح لي بالتفاصيل لماذا هو غير معني. ولماذا لن يكون هو الخليفة".

على الضفة الأخرى.. انتقدته حماس مرة وحيدة علناً على لسان (الشهيد الرنتيسي)، لكنها وفقاً لتقييم كثيرين، منهم (مهيب النواتي) خبير شئون الحركات الإسلامية في ٣١-٨-٢٠٠٣، فأن حماس بلغت ذروة تفاهمها مع مصر بعد امساكه بالملف. تتصت قيادتها له بمن فيهم الرنتيسي. بل وتلجأ إليه علناً كما فعلت أثناء خلاف لها مع فتح. فهو بالنسبة للفلسطينيين كما مصدر لـ(خالد الشامي).. "يمثل قوة رئيسية في قاطرة سلام نفد بخارها منذ تلاحم قوى الشر.. بوش وشارون"، وهو أيضا الحكم بين الفصائل.. وأحياناً داخل كل منها.

أمريكياً.. تذكر ماري بانه كان أثناء حرب الخليج الثانية – ١٩٩١ – مديراً للمخابرات الحربية. وتنسب لمسؤول أمريكي عمل معه لسنوات سباقاً بالمبادرة، معتدل ومهذب وله خبرة

طويلة، مقبول من رجال الاعمال. لكن عدداً قليلاً للغاية يعرف آراءه السياسية، سنشعر بالراحة في التعامل معه على المدى البعيد".

مواطنها (جوردن توماس) يؤكد في تحليل له بثته (جلوب-أنتل) انه في ٢١-٦-٢٠٠٢ قبل ٨ أيام من هجمات ١١ سبتمبر، أخبر سليمان رئيس محطة الـ"سي أي إيه" في القاهرة، ان مصدراً موثوقاً أخبره بأن شبكة أسامة بن لادن في مراحل متقدمة من تنفيذ عملية مهمة ضد أهداف أمريكية". (نيوزويك) رغم تأكيدها انه "يلعب دور حيوي في الحرب السرية ضد القاعدة" وانه "ودود في مجال عبر ودود"، تشن هجوماً عليه مماثلاً لهجوم (ديبكا)، معبرة عن ضيقها من انصات عرفات والفلسطينيين له.

ويبدو ان نشاطه الخارجي كان وراء أول ترشيح سياسي له، اذ طرحه البعض خليفة لعمرو موسى في الخارجية.. حتى أن اسمه سبق أحمد ماهر. غير ان ترشيحه للخارجية كان مجرد "حرف" في كتاب ترشيحات تركز على منصب النائب منذ أكثر عامين، منها تأكيد (ضياء رشوان) الباحث المعروف بمركز الأهرام لهيئة الإذاعة البريطانية في ٩-١-٢٠٠٤ ان "الجيش استقر فعلاً على مرشحه للرئاسة". وعندما سألته المذيعة: تقصد بالطبع (السيد عمر سليمان). استدرك "لا أتحدث عن أسماء"، ثم مكرراً.. "الجيش استقر فعلاً على مرشحه للرئاسة". كان رشوان يعلق على مداخلة ساخنة ضمت الزميل عبدالحليم قنديل في جانب.. ومكرم محمد أحمد وعبدالمنعم سعيد في جانب آخر، حول تفجير العربي" لقضية التوريث ونفي مبارك لها.

ترشيح سليمان وقتها للخارجية جاء على خلفية توليه الملف الفلسطيني، غير ان نشاطه لم يقتصر على ملف الصراع العربي الصهيوني. ففي نفس عدد هآرتس يصفه مصدر مطلع بانه "لا يمسك بأطراف الخيوط في مصر، بل بأطراف الحبال". وفي تقرير لـ(الاسوشيتد بريس) ٢٠-١١-٢٠٠٣ تأكيد على ان "الرئيس المؤثر لدوائر الاستخبارات ارتفع بشكل مثير، بدأ يتعامل مع قضايا حساسة مثل النزاع العربي الاسرائيلي والعلاقات مع الولايات المتحدة والعراق"، وعلى "خبرته الواسعة في الشؤون الداخلية والخارجية". وتصفه نيوزويك بـ"السيد ميكسيت، يعالج المشاكل في اليمن وليبيا والسودان التي تؤثر على مصالح القاهرة".. بالبلدي "حلال مشاكل". وتنسب إليه انه "مهد الطريق لزيارة مبارك الأولى إلى الخرطوم بعد ١٤ سنة".

مصرياً.. هآرتس ترجع لجهازه "الهدوء النسبي في الأعمال الارهابية لمنظمتي الجهاد والجماعة الإسلامية"، مسندة تقييمها لـ(موردخاي كيدار) المستشرق بجامعة (بار ايلان). وتنقل ماري عن أحد مساعدي مبارك انه الشخصية الرئيسية وراء كواليس تراجع الجماعة.. الذي أنجز اعلان الهدنة في وقت لاحق. تضيف: سألت منتصر الزيات عن موقفه من الإسلاميين؟. لم يعطني جواباً على الفور، ثم قال: أحياناً يقف مع المتشددين.. وفي أحيان أخرى يكون معتدلاً، اعترض دائماً على تعذيب الإسلاميين لانه أدرك ان التعذيب يهزم نفسه في النهاية، يريد احتوائهم دون مكاسب كبيرة.. حاضرين ولهم مساحة سياسية، بعبارة أخرى،

يرى السماح لعدد محدود بخوض الانتخابات كجزء من العملية ما داموا ملتزمين بقواعد اللعبة.

وتتفق ماري في تقريرها مع (غسان الإمام) في (الشرق الأوسط) ٢٥-١١-٢٠٠٣ على انه وراء تجاوز النظام فترة سقوط بغداد بسلام، منبهة إلى ان مبارك يقضي وقتا أطول معه. فحسب لواء متقاعد "يخبره بكل شيء، فبعد ٢٢ عاماً لا تقول القيادات المسنة المحيطة بالرئيس إلا ما يريد ان يسمعه، لكن سليمان يقول له ما حدث بالضبط".

طبيعة دوره لا تسمح - غالباً - بمعرفة ما حدث بالضبط.. مثلاً، يتسرب القليل عن دوره وجهازه في القضاء على مخطط لترسيخ ادمان الهيروين في مصر قبل سنوات، وعن نصيحته "للتعامل بحكمة مع "تجاوزات" مظاهرات بورسعيد، ومع المدينة عامة مقابل توجه "عائلي" رأى وقتها قمعها بعنف، وعن اشرافه على تسليم ملف كمال الجنزوري الشائك لعاطف عبيد، ثم من الأخير لأحمد نظيف.

و"ما يتردد" لا يطرح علانية، لذا لم يكن مرتاحاً في البداية لدوره "العلني" الجديد. لماري ويفر يوضح أحد أصدقاءه "كرجل مخابرات اعتاد العمل في الظل، من الصعب ان يقف على مسرح غير عسكري ويلقى خطاباً، لا تشغله جاذبية رجل السياسة، لا ينافق وليس جامداً في نفس الوقت.. تعاملت معه لسنوات وسمعته يقول للقيادات العليا هذا خطأ وهذا صواب، حتى لو كانت آراؤه لا تلقى شعبية". لكن سليمان بعد أقل من ثلاث سنوات من مقال

مـــاري القنـــى خطابه في حوار الفصائل الفلسطينية الأخير، ليجدد جدل ترشيحه كـ"نائب".

تـضيف مـــاري: لمعرفة المزيد عن صورته العامة الجديدة سألت ناشر جريدة (كايرو تايمز).. هشام قاسم - العضو المنتدب للمـــصري الـــيوم فيما بعد -، أشار إلى صورتين تم تكبيرهما له مُعلقتـــين علـــى الحائط وراءه، الأولى في كايرو تايمز قبل أشهر والثانـــية فـــي الـــصحف الحكومـــية، في كايرو ملامحه صارمة وصـــلبة.. يقف إلى جوار عرفات منزعجا من تطفل الكاميرا، في الثانـــية الرسمية التي التقطت في الوقت نفسه، يبدو ودودا بدرجة أكبـــر.. تلمـــع عيناه وعلى وجهه شبه ابتسامة.. أكثر استرخاء، ويبدو عرفات متضائلاً في وجود اللواء القوي.

مـــاري مـــع تأكـــيدها ان "اللعبة السياسية لا تجري في دماء سليمان"، رأت انه يذكرها بالسادات "طويل ونحيف، له ملامح أهل الصعيد والنوبة كما السادات، بشرته شديدة السمار وقسمات وجهه لا توحـــي بـــالهم كما معظم المصريين، شعره داكن.. شبه أصلع الأن ويعوض الصلع شارب رمادي داكن".

ولغـــسان الإمام بالشرق الأوسط تشبيه آخر، ففي تعليقه على أزمة مبارك الصحية بمجلس الشعب يرى أن إنجازه هو استقرار مـــصر ٢٢ عامـــاً.. ولم يتورط في مغامرات (الزعامة الملهمة) لـــدى سلفيه".. واصفاً سليمان بأنه "نسخة طبق الأصل من رئيسه في تعقله وحذره وفهمه للسياسة العربية".

العربي ٢٠-٢-٢٠٠٥

هوامش

(١) نُشر على عدة مواقع بشبكة الإنترنت يناير ٢٠٠٤

(٢) مهندس بالشأن المصري، له دراسة هامة عن قضية الخلافة في مصر .

دولة سوزان مبارك

"كـــان أقصى أحلامي أن أكون سفيراً في بلد الإكسلانسات".
تعبيـــر عفوي لــ(مبارك) في (كلمتي للتاريخ) [١]. بالتأكيد للتعبير دلالـــته النفسية.. ويكشف عن رؤيته للآخرين.. أفراداً ودولاً. ما يهمنا الآن هم الأفراد.

ولد (محمد حسني مبارك) في قرية (كفر المصيلحة) [٢] لأب بـــسيط كما أغلب ابائنا، يعمل موظفا بقلم المحضرين، وتعلم كما معظم أبناء قريته تحت "رعاية" (عبدالعزيز باشا فهمي) [٣]، الذي "رعى قريته" لدرجة دفعت كثيرين لوصفها بـــ"كفر باريس".

تـــزوج (محمد حسني مبارك) من (سوزان صفوت ثابت) [٤] ابنة الطبيب المصري والممرضة "الويلزية" التي تحمل جنسية "بلد الإكسلانسات".. ومنها أنجب (علاء وجمال).

مـــنذ بدايات تسرب سيناريوهات "التوريث" أدرك الجميع أن "الأم" هي التي تقف بقوة وراءه، ولايدري أحد متى تبلورت الفكرة فـــي ذهـــنها؟. هل مع توريث (بشار) [٥] سوريا.. أم في مرحلة أســـبق بعـــد محاولـــة اغتيال أديس أبابا، عندما ظهر لـــ"العيلة" والمحيطـــين بهـــا إمكانـــية فقـــدان السلطة والنفوذ، فاقترح أحد

"المجاملـــين".. تجهيـــز (جيمـــي)، كمـــا ينادونه في الأسرة وبين الأصدقاء، ليخلف والده؟.. لن نستطيع الإجابة.

وأيـــضاً لـــم نـــستطع ان نمسك بإجابة محددة من "حكايات" متعددة لـــ"لماذا جمال الأصغر وليس علاء الأكبر؟". بالتأكيد من الشـــرح (جيمـــي) يعـــرف "الخريطة الداخلية للعيلة". فـــ"هي" في حـــوار مع (نص الدنيا) أول مارس ٢٠٠٤، تردد "جمال اتصل".. "جمال قال". كانت تتحدث عن مواقف وحوادث لفترة زمنية تغطي عشر سنوات دون أن يرد ذكر لـــ(علاء).

ولأنـــنا لـــسنا في "بلد الإكسلانسات" حيث الشفافية، لن يكون أمامنا إلا الاعتماد على ما تردد.. وما تسرب". منها ان "الأب" صـــمد فـــي الـــبداية ضد رغبة "الأم"، محذراً من ان "البلد تقيلة وخربانة.. وأخاف عليه من تقلباتها".

"الأم" التـــي تـــصف نفسها في حوار (نص الدنيا)، الذي بثته هيئة الاستعلامات، بـــ"أنها شخصية قوية للغاية تعرف بالضبط ما تـــريد". أكملـــت مـــسيرتها "التوريثية"، وضاعفت نفوذها مرات، لتـــتجاوز (جـــيهان الـــسادات) بمراحل، ولتصبح لها حصة دائمة التزايد في الوزارات والمناصب القيادية، وبدأنا نسمع عن ان هذا الوزيـــر "تـــبع الهانم"- "الهانم" مفردة متداولة "فوق" -، كان منهم وزيـــرا الصحة والتربية والتعليم[١]، ومازال منهم وزراء الداخلية والـــثقافة والإعـــلام والإســـكان ورئـــيس المجلس الأعلى للثقافة والـــرئيس الجديد "جدا" لهيئة سوق المال.. و(ماجد الشربيني)[٢].. إلـــخ. هذا غير نصيب الابن. القائمة طويلة، خاصة بعد ان أدرك

"المستثالون" أن هناك باباً ملكياً للسلطة وللحصول على "قرارات" الأب ورضا الابن، ليصبح لـ"الأم/ الابن" سيطرة كاملة على الاعلام والأمن وحركة المال والتجارة والنشاط الاقتصادي، وبرامج المساعدات والتوكيلات الأجنبية. وبالطبع هناك آخرين، رجال وأجهزة لا نعلمهم.. لهم مهام "قد" نعرفها ونرى أثرها، كما مع (عبدالحليم قنديل) [٨].

أصبح للأم حزمة مناصب ومؤسسات.. تتسع وتتسع، بعضها يوصف من قبل المجاملين بـ"الدولي".. مثل جمعيات "السلام".. وتحديدا (حركة سوزان مبارك الدولية للسلام)، التي تتعاون بشكل خاص- حسب ترجمة الزميل محمد عبود - مع (معهد فان لير) لأنشطة السلام الذي أنشأ لتنشيط اتفاقيات التطبيع الثقافي بعد كامب ديفيد. حركة سوزان مبارك حولتها مزاعم المُجاملين مؤخراً إلى وسيلة مُتخيلة للحصول على "نوبل للسلام"!!. مع الاستعانة بمواقع إنترنت بالعربية والإنجليزية للتعريف بها وبإنجازاتها.

الأم لا تخفي تأثيرها "الداخلي/ العائلي" تقول في حوار (نص الدنيا).. «عندما نعرض عليه موضوعاً (تقصد مبارك) يقول: أدرسوه وبعدين قولي لي. أقول له اجتمعنا وعملنا. يقول: طيب خلاص. ثم يبدأ اتصالاته بنفسه ليصل إلى رأيه الخاص».

هذا التأثير يروج له البعض في الخارج، لاظهار "الأم/ الابن" بوصفهما قاطرة الاصلاح، عبر حملة لا ندري من يتحملها، مدعومة من منظري "النيوليبر" في مصر، حتى ان الكاتب اللبناني

المعــروف (جهــاد الخازن) [٩]- ضيف العيلة كلما جاء للقاهرة- يصف الأم في برنامج (من واشنطن) على (الجزيرة) بـ"الدولة". حرفيا يقول (٣-٤-٢٠٠٥).. "أتحدث عن السيدة سوزان مبارك، عـندها تأثيـر على الحركة الاصلاحية في مصر أكثر بكثير من جـورج بـوش.. أي عندك دولة ثانية". الخازن لم ينس "النصف الثانـي مـن السلطة" مؤكداً أن "الإصلاح الاقتصادي يقوده جمال مبارك".

التداخل بـين نفـوذ الأم، التـي كثيراً ما تصفها الصحافة البـريطانية بـ"النـصف ويلزية"، وبين نفوذ الابن كما الأواني المسـتطرقة.. كل منهما يؤدي للآخر، داخلياً.. و"خارجياً". فالابن شـد الرحال فور تخرجه - تقول "فور"- إلى "بلد الإكسلانسات"، لـيكـون نفسه". يقول "الأب" عنه في حديث مع (مكرم محمد أحمـد) بـ(المصور) بمناسبة الترلب لستفتاء ١٩٩٣.. "يعمل فى بـنك بإنجلتـرا وشارك فى شراء وبيع ديون مصر، وحقق للبنك الـذى يعمـل بـه أرباحا من وراء ذلك". ويبدو ان مكرم "فاته" التفريق بين ما يُنشر وما لا يُنشر.. فنشر. [١٠]

في "بلد الإكسلانسات".. كون (جيمي) نفسه ماليا، و"تردد" انه "غـولج" هناك مع ابن رئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية قومية وثالـث ابن لرجل أعمال شهير أيام السادات. وهناك أيضاً تربى سياسـياً علـى أيـدي منظر "النيوليبر".. (بيتر ماندلسون) عضو البـرلمان البريطاني الذى أعاد تشكيل حزب العمال وتوني بلير. ويـصف الـزميل مجـدي حسين أمين حزب العمل المُجمد وفقاً

لمصدر مصري/ بريطاني (ماندلسون) بـ"أنه يهودي معروف بتأييده ودعمه لإسرائيل. أجبر على الاستقالة من الوزارة مرتين لاتهامات بالفساد المالي، ورغم أن (ماندلسون) صديق حميم لـ(بلير) إلا أن الأخير لم يستطع الدفاع عنه أو إبقاءه في الوزارة". ويصف المصدر سلوك (ماندلسون) الشخصي بأنه (..)، ويتحرك علناً مع "صديقه".

انتهت فترة "التكوين" وعاد (جيمي) لتبدأ أولى محاولات التوريث نهاية التسعينيات، لصدر، تلبية لرغبة الأم، قرارا بتعيينه مستشارا اقتصاديا برئاسة الجمهورية بدرجة وزير، تلاه اقتراح من أحد المجاملين على الأم بتأسيس (حزب المستقبل) (١١) لينافس حزب "الأب" وليكون "توريث" السلطة طبيعياً وديمقراطيا، على أن يضم أسماء "شابة" من تيارات مختلفة للحصول على تأييدهم وحيادهم.. وللمساعدة في تخفيف اعتراضات الأب و"حرسه" الذي سيوصف بـ"القديم" بعد عامين فقط.

مع فشل المحاولة الأولى، اقترح البعض - برضه - على الأم اقناع الأب السماح للابن بالصعود عبر الحزب الحاكم.. ولم يمنع اقتناع الأب اتخاذه "فرملات" واهنة أحياناً.. حاسمة أحياناً، لقطار التوريث تلبية لطلبات مؤسسات وطنية، لكن "الفرملات" سرعان ما تختفي.. رغم استمرار "الخلاف العائلي" حول "زمن" سيناريو التوريث.. "زمنه" فقط.

انطلق سيناريو "التصعيد من الداخل" تحت شعار "الفكر الجديد". وللحصول على "غطاء مرجعي وخارجي"، توجه (جيمي)

فــي أولــى زيارته "الرسمية" للخارج.. الى "بلد الإكسلانسات".. حــيث مُنظر النيوليبر (بيتر ماندلسون)، التقى به مُجدداً وبقيادات حزب العمال، ضمن ما وصفه جيمي بــ"لجنة مُنتدبة" من الحزب الوطنــي لمناقشة الأفكار الاصلاحية. ونقرأ في كتاب جهاد عودة (جمــال مــبارك.. تجديــد الليبــرالية الوطنية) [11] الذي هاجم "ديكــتاتورية الأب" بقــسوة وبشر بــ"الابن"، ان جيمي أكد لمُنظر النيوليبــر.. "انهم" - لم يحدد من هم - "عندما نتوصل إلى اقتناع يــصبح اقتناعنا جميعاً".. ومنبهاً إلى ان "أي تطور مُستقبلي يجب أن يكون مرتبطاً بقرار دستوري" (!!).

كــان اللقاء في نوفمبر ٢٠٠٢ واستمع "الوفد الرسمي" الذي ضم (محمود محي الدين) [12] وحوت الحديد (أحمد عز) [13] الى نــصائح "النيوليبــر" لتغييــر الــصورة القديمة للحزب وعصرنة أســاليبه. اللقــاء ســبقه بشهر واحد لقاء منفرد لجيمي مع (جاك ســترو) وزير خارجية الاكسلانسات. وفي أعقابه تسربت أقاويل مــن مجلــس العمــوم عن تصعيد تدريجي لجيمي.. مدعوم من المملكــة المــتحدة.. (بعد أشهر ستتوجه الرحلات الى واشنطن). ومــع التــسريبات بدأت حملة مصريين بالخارج ضد السيناريو.. والتقطتها "العربي" لتنفرد بفضح السيناريو ومعارضته منذ ديسمبر ٢٠٠٢، قبل أن يلتحق بها آخرون.

وقتها قيل، ضمن ماقيل، ان حملة (العربي) وجرأتها مدعومة مــن الأب نفسه، لمساعدته في حسم "الخلاف العائلي"، بعدها تبين ان الإشــاعة "الملــونة" صــدرت عن مُنظري جيمي في مركز

الدراسات بالأهرام، الذين حذروا من ان الأم غاضبة على (العربي).. وان على الجريدة ان تنتظر العقاب [10].

بعيدا عن عقاب (العربي).. و"اخرون لا نعلمهم"، استمر قطار التوريث و"توحش"، ولم يحسم "الخلاف العائلي، ففي ١١-٩-٢٠٠٤ نقرأ للكاتب المصري محمد عبدالحكم دياب في جريدة (القدس العربي) عن "تصاعد الصراع داخل الأسرة لحد خطير"، مستشهداً بانه عندما "أصدر مبارك قرارا بتعيين مسؤول أمني كبير نائبا له، أغسطس ٢٠٠٤، (..) ولحظة تسليمه ابني رئيس ديوان الرئاسة، انقضت السيدة سوزان حرم الرئيس بانفعال شديد وأمسكت بالقرار ومزقته".

و"مايتردد" في هذا السياق كثير جدا.. بعضه يبدو مبالغا فيه. لكن ليس من المبالغ فيه أن الخلاف دائر وبشدة على اسم النائب، الأب يراه من "المؤسسة الوطنية" للحفاظ على ما تبقى من تماسك للسلطة.. والأم تراه (أحمد نظيف) لتضمن إكمال سيناريو التوريث.

فلم يكن ما نشرته (الصانداي تايمز) أول الشهر الماضي عن "ضغوط الأم" سوى رأس جبل الخلافات، على جانب "الأم/ الابن/ رجال الفكر الجديد". وعلى الثاني "الأب" أحياناً.. مدفوعاً بضغوط مؤسسات وطنية.. كما حدث عند اقرار قانون انتخابات الرئاسة بدون النص المانع لترشيح مزدوجي الجنسية والهاربين من الجيش، اذ "تردد" أن المؤسسة الوطنية لن تقبل بأن يكون "قائدها الأعلى" هاربا من الجيش. ولم يكن أمام قطار التوريث سوى ان

يتــراجع مؤقــتا بعد أن "قوجئ" أن هناك "قوى أخرى" في البلد.
فـ"الأم/ الابن" لا يريان "الشارع" أصلاً، معتقدان أن ساعة الجد..
تلمه عساكر (العادلي) أو رجال (ماجد الشربيني).

٢٠٠٥-٧-٣

هوامش

(١) العبارة جاءت تعبيراً عن أقصى ما كان يتوقع أن يتولاه من قبل (السادات) عندما طلب حضوره للقصر الجمهوري بصفة رسمية. (كلمتي للتاريخ) برنامج دعائي قدمه (عماد أديب) وبثه التليفزيون على ثلاث حلقات، واعتبر تدشيناً لحملة مبارك الانتخابية، لكن ردود الفعل كانت عكسية.

(٢) من قرى مركز أشمون منوفية.

(٣) من أبرز قادة ثورة ١٩١٩، ومن أبرز رجال القضاء في مصر.

(٤) ولدت بالمنيا وانتقلت مع أسرتها فيما بعد إلى مصر الجديدة، لها أخ وحيد (منير)، كان تلميذاً لمبارك بمدرسة الطيران.

(٥) خلف والده حافظ الأسد في قيادة سوريا يوليو ٢٠٠٠.

(٦) ولدتها، د.إسماعيل سلام ود.حسين كامل بهاء الدين.

(٧) محام، كان أميناً لشباب الحزب ثم للعضوية. وجهت ضده بلاغات رسمية بالإشراف على جريمة هتك الأعراض يوم الأربعاء الأسود.

(٨) تعرض (قنديل)، رئيس التحرير التنفيذي السابق لـ(العربي) والمتحدث الرسمي باسم (كفاية)، للاختطاف والاعتداء وحتى في صحراء

المقطــم اول نوفمبــر ٢٠٠٤، وقـال له خاطفوه "عشان نبطل تتكلم على أسيادك". وحتى الآن لم يتم التحقيق في الجريمة.

(٩) أول رئيس تحرير لجريدة (الحياة) اللبنانية بعد سيطرة أحد أفرع آل سعود عليها.

(١٠) انظر حوار مبارك عن قصة بيع ديون مصر في (ع الهامش)

(١١) تسربت أنباء عنه نهاية ١٩٩٨، وحسب أيمن نور الذي جرت اتـصالات معه وقتها، أن جزء من اجتماعات مناقشة الفكرة كانت بمكتب نقيب وسياسي بارز.

(١٢) رقم "٩٤" من سلسلة كتاب الحرية.

(١٣) عـضو هيـئة مكتب امانة السياسات، دكتوراه في اقتصاديات التمويل من جامعة ووريك بإنجلترا عام ١٩٩٥، رحلة صعوده السياسي ارتـبطت بعلاقته الشخصية بـ(جيمي). أخرها تأسيس وزارة للاستثمار وفقاً لصلاحيات حددها بنفسه.

(١٤) صـــديق شخـصي لجمال، عضو هيئة مكتب لمانة السياسات، أمـين تنظـيم الحـزب.. يحتل معظم نفوذ كمال الشاذلي الحربي. عضو المجلس الرئاسـي المـصري الأمريكي، رئيس لجنة الخطة والموازنة بمجلـس الـشعب. علاقته بجمال ساعدته في اقتراض مئات الملايين من البنوك ليشتري شركة الدخيلة للأسمنت، ويرأس مجلس ادارتها مع مجلس ادارة شــركته الخاصة (عز لحديد التسليح) ليحتكر ٦٥% من إنتاج حديد مصر، ويضاعف سعر بيعه للمستهلك.

محمد كمال:
مصر في حالة مخاض، ولا نعرف ماذا ستلد

بعد أيام تنطلق جلسات المؤتمر العام "الثاني" للحزب الوطني.

"الثانـــي"، هكذا نصفه "أدبيات" أمانة السياسات التي ولدت مع المؤتمـر العام "الأول" سنة ٢٠٠٢، ومعها انطلق قطار "التوريث" كمـا أصررنا على تسميته مع محاورنا، د. محمد كمال، المتحدث الرســمي باسم الأمانة، عضو هيئة مكتبها.. ورئيس لجنة الشباب بهـا، وأمين التدريب والتثقيف السياسي بالحزب، وسابقا.. عضو اللجـنة الاقتـصادية به. عضو مجلس الشورى والمجلس القومي للـشباب. نائـب رئيس المركز المصري للدراسات الاقتصادية. عـضو هيـئة تـدريس كلية الاقتصاد والعلوم السياسية/ القاهرة، وســابقا.. أسـتاذ مساعد بالقسم الموازي في الجامعة الأمريكية. عمل باحثا بمعهدي السلام والشرق الأوسط، واشنطن.

مـن جامعة (جونز هوبكز) بالعاصمة الأمريكية نال دكتوراه فـي العلاقـات الدولـية، موضوعها "دور الكونجرس في صنع الـسياسة الخارجية الأمريكية.. دراسة حالة في الشرق الأوسط"، وقـبلها ماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كارلتون) الكندية

عن "دور الدين في التنمية.. دراسة في التجربة المصرية من ١٩٥٢ حتى ١٩٨١".

يرفض (كمال) مفردة التوريث قائلاً "هذا سيناريو وهمي، لو كان موجودا.. فمن الغباء الشديد أن يطرح بالشكل الذي يصوره البعض خلال السنوات الماضية. نحن فريق إصلاحي.. وفقط". يصر على مفردة "الاصلاحي"، ولأننا كنا نقف على ضفتي نهر من الخلافات، اتفقنا على تجنيب التسمية، ولكل ما يعتقده. فالعربي، جريدة وصحفيين، أول من كشف وقاوم مشروع التوريث.

مع المؤتمر العام "الأول" طرح اسمه في كواليس "ترتيبات" اللجنة. قيل أن د. علي الدين هلال، الذي تصفه مقالات عربية بـ"المربي السياسي" لمبارك الأب.. والابن، هو من توقف عنده طالبا ثم معيدا.. ثم دارسا للدكتوراه بأمريكا، والتقاه مع (جمال) أثناء زيارة الأخير لواشنطن عام ٢٠٠٠، التي انطلقت من مكتب (طاهر حلمي) [1] ورجل الأعمال.. ورئيس الغرفة التجارية الأمريكية بالقاهرة حتى العام الماضي، وانه ــ كمال ــ رتب لقاءات لمبارك الابن مع أعضاء كونجرس، وبعدها استدعي للقاهرة، وتوالت توصيفات علاقة كمال الوثيقة بجمال، منها انه "أنتيمه" السياسي، حتى إنه شاركه اللقاء "الخاطف" مع الرئيس الأمريكي العام الماضي، وبانه "الرجل الغامض" في لجنة السياسات.. الخ.

لكــن المــتحدث الرســمي باسم امانة السياسات ينفي كل ما سـبق.. "غير صحيح انني التقيت به في واشنطن، ولم أسافر معه للقاء بوش. لا يجمع جمال بأعضاء الأمانة الا النشاط السياسي.لا يمكن ان نتحدث عن صداقة، بالطبع له شلة أصدقاء، لكنهم جميعاً خــارج الأمانــة. تعرفت عليه، لأول مرة، خلال لقاء دعا إليه د. مفـيد شـهاب، وزير التعليم العالي حينها، ضم أعضاء من هيئة تــدريس اقتــصاد وعلــوم سياسية، بعد عودتي من البعثة صيف ٢٠٠١. ثــم طلــب مني د. محمود محيي الدين، زميلي بالكلية، بتكليف من جمال دراسة تطوير المبادئ الأساسية للحزب استعدادا لمؤتمــر ٢٠٠٢، الذي شهد تأسيس أمانة السياسات. وطلب مني جمال، ان أصبح عضواً فيها ورئيساً للجنة الشباب بها".

• لكــنك كــنت بواشــنطن عام ٢٠٠٠ ولقائه بأعضاء في الكونجــرس، تــدرس وتعمل باحثا بمراكز وثيقة الصلة بالمجلس الأمريكي؟

ـــ المــرة الوحيدة التي التقينا فيها بواشنطن، كان لكل منا بــرنامجه المُــسبق وقابلته في عشاء عمل.. وفقط. الزيارة التي تــتحدث عنها لا أعلم عنها شيئا. عامة كان الجميع ينشغل بدراسة الــشرق الأوســط من أمريكا، لكني تساءلت.. لماذا لا أستفيد من وجــودي بدراســة ما يحدث هنا، ولتخصص فيما هو مرتبط بهذا المجــتمع، وأعتقد انني أول واحد من جماعة العلوم السياسية في مــصر الــذي درس في أمريكا وتخصص فيها. فالكونجرس ليس

مجـرد مؤسـسـة تـشريعية او رقابية بل ايضا شريك رئيسي في صناعة القرار والحكم.

• مـن هنا جاء تكليفك بملف العلاقات مع واشنطن في أمانة السياسات؟

ـــ أمـارس دورا أكاديميا بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومدير مركز الدراسات الأمريكية فيها. لي دور ثان (حاضر جاي لـسؤالك).. يتعلق بلقاء وفود رسمية أو غير رسمية تأتي لمصر، وبحكم فهمي للنظام الأمريكي.. وللناس دي بتفكر ازاي، أوضح لهـم السياسة المصرية والأوضاع هنا وفي المنطقة العربية. ليس لـي دور حزبـي فـيما يـتعلق بالعلاقة معهم، فالحزب به أمانة علاقـات خارجية.. لست عضوا فيها. ولم يسبق لي الحديث باسم الحـزب فـي أمريكا التي أسافر إليها، بمتوسط، مرتين في السنة بـصفة أكاديميـة أو بتكلـيف رسمي.. كما حدث من الخارجية المصرية في وفد قومي من برلمانيين ونشطاء مجتمع مدني.

• هـل منها سفرك مع "أمامة الغزالي حرب" [٢] في مارس ٢٠٠٤ لتـرويج "الـرؤى الاصـلاحية" في الحزب عقب مؤتمر الإسكندرية؟

ـــ نعـم سافرنا، لكن بتكليف رسمي من الخارجية وبتنظيم منها ومن سفارتنا، ولم يكن للحزب أي علاقة.

• تعلـم أن السياسات والحزب والنظام منظومة واحدة، أوان مستطرقة؟

ــ هذا رأيك. رجاء لا تختزلني في صفتي الحزبية، أنا أستاذ جامعــي.. متخصص في الدراسات الأمريكية، والخارجية تستفيد منــي بهذه الصفة. كانت تقدمني كأكاديمي في الأساس.. مع ذكر عــضويتي بأمانة السياسات احتراما لحق الناس في معرفة الخلفية الــسياسية للمــتحدث. أيضا (الغزالي) كان عضوا في السياسات، وهو أيضا عضو مجلس شورى وبالمجلس القومي لحقوق الإنسان والمجلــس القومي للمرأة. مهنتي الرسمية أستاذ بجامعة القاهرة، العمل الذي أتلقى عنه أجرا، أما نشاطي الحزبي.. فتطوعي.

• لكــن الــزيارة ركــزت على الترويج للرؤى الاصلاحية للحزب؟

ـــ ليس ترويجا بل شرحا لتوجهات عامة مطروحة بمصر، ورداً علــى أســئلة الطرف الأمريكي. ولم تكن طرح وجهة نظر لأمانــة السياسات. تكلمنا بحرية وانتقدنا سياساتهم بالمنطقة، قابلنا أكاديميــون.. ورسميين. بعد ذلك سافرت في وفد ضم د. منى ذو الفقار، وهي شخصية مستقلة.

• مــا دخــل أمــريكا بشئوننا الداخلية، ألسنا نرفض رسمياً تدخلها في الإصلاح الداخلي؟

ـــ المــسألة ليــست قاصرة عليها. فمؤخراً سافرت بصفتي الأكاديمية لمركز أبحاث إيطالي، ولان صفتي الحزبية غير سرية، نظم الداعون لقاءات عن رؤى الحزب المختلفة، وقبلها حدث ذلك فــي بــريطانيا. أمريكا علاقتنا بها استراتيجية، هي القوة العظمى وأكبــر ســوق، أكبر مستثمر في العالم.. وفي مصر، ومن الغباء

التصارع معها، لكن هذا لا يمنع أن لنا اختلافات كبيرة مع سياستها سواء فيما يتعلق بشئوننا الداخلية.. أو العراق وفلسطين.

• وما شأن الحزب وأمانة السياسات؟

ـ أكرر، لم أذهب بصفتي الحزبية ولكن بصفتي الأكاديمية.. والبرلمانية بعد ذلك.

• لكنك عضو مؤثر بها وبهيئة مكتبها؟

ـ طبعا، وأفخر بعضويتي فيها، لكنني لا أشارك باسمها، لكن إذا سئلت عن رأي الحزب في قضية ما.. أجيب. علاقات تسدون تتجاوز الأنماط الرسمية. ستقول لي هناك سفارة ووزارة.. ووزراء يسافرون. سأقول لك.. بأني لنا أناس "عمال على بطال" من المجتمع المدني.. الكونجرس، ويجب أن يتحاور معهم أناس من ذات النمط. مثلا، قبل ثلاثة أشهر كان هنا وفد كونجرس والتقينا به مع رموز معارضة من عدة أحزاب منها الوفد والنائب حمدين صباحي. كلنا اتفقنا على رفض ربط المعونة بشروط مسبقة وإدانة ما يحدث في العراق وفلسطين.. إلخ. هذا لا يعني أننا فرضنا عليهم شيئا. أيضا هم لا يفرضون علينا شيئا عندما نذهب إليهم. الدبلوماسية الشعبية تقرب وجهات النظر، وربما يدركون معها معلومات غائبة أو تصحح أخرى منحازة.

• رسالة الماجستير وكتابات لك تنشغل بعلاقة الدين والدولة، والتعامل السياسي مع الأصولية، وفي قلبها الإخوان. قبل أنك نظمت لقاءات جمعت جمال بأساتذة جامعة إخوان، وأن مخيم أبوقير للحزب الذي تشرف عليه كأمين تثقيف، احتضن لقاءات

بــين قيادات الطرفين. بالطبع هذا يتفق مع ما كتبته عن "التنظيم.. لا الاستبعاد"؟

ـــ أولاً، لــم أسمع ولم أشارك بأية لقاءات في أبوقير. لقاء جمـــال كـــان مـــع نادي تدريس جامعة القاهرة، وبعضهم ينتمي للإخـــوان، ولكننا التقينا معهم كهيئة تدريس لا كإخوان. تماما كما مجموعة الـــ٨٨ بالبرلمان، الحزب ورئيس المجلس يتعامل معهم كأعضاء منتخبين، لا يمكن نفي هذه الصفة عنهم.

• لكـــن ســـرور تعامل معهم كرئيس للمجلس وصفته ليست حزبية "صرف" كجمال؟

ـــ ولمـــاذا لا يجـــتمع جمـــال بصفته الحزبية مع المجتمع المدنـــي.. ونادي هيئة التدريس جزء منه. من هذا المنطلق جلسنا مـــع أســـاتذة عـــدة جامعات، كان معنا حسام بدراوي [٢] ووزير التعلـــيم العالـــي. والهـــدف مناقـــشة قضايا التعليم لا التحاور مع الإخوان، ولن تطرق الحوار إلى قضايا عامة.

• هل من القضايا العامة إشكالية التعامل معهم، متى ستنضبط ونعرف لها إيقاعا واضحا؟

ـــ رؤية الحزب يقولها الأمين العام ورؤية أمانة السياسات يطـــرحها أمينها. رأيـــي الشخصي ان وضع قواعد علاقة الدين بالـــسياسة هـــو التحدي الأكبر أمام أي تطور ديمقراطي. لا أحبذ النظام التركي بتطرفه العلماني، فالدولة المصرية لها وظيفة دينية كوظيفتها في التعليم أو الصحة، وليس مطروحا إلغاء المادة الثانية

من الدستور. في المقابل لا يحق لجماعة ما ان تحتكر الدين وتوظفه سياسيا ضد منافسيها لتحقيق مكاسب انتخابية.

• حزبكم أيضا يوظفه؟

ـ الحزب ضد ذلك، والتجاوزات يجب ان يحاسب مرتكبوها عبر القضاء. أنا ضد أي حزب ديني، لكني لست ضد من يدعو لقيم محافظة، جذور بعضها الدين. الإخوان يستندون للمادة الثانية من الدستور ويتجاهلون باقي مواده، خاصة الخامسة المتعلقة بالمواطنة. المرجعية يجب ان تشمل مواد الدستور مجتمعة وليس الثانية فقط، أنا مع دمج كل القوى السلمية في الحياة السياسية، بما فيها الإخوان. ولكن على الإخوان ان يختاروا بين ان يكونوا جماعة سياسية مدنية تقبل قواعد اللعبة، أو جماعة دعوية.. هذه مكانها خارج الاطار السياسي، لا يمكن الجمع بين الاثنين.

• هناك تخوف من الانتخاب بـ"القائمة" لاستبعادهم، هل سيفرز مؤتمر الحزب تعديلا في هذا الاتجاه؟

ـ الانتخابات بالقائمة فقط.. أبطلتها المحكمة الدستورية. يجب الحفاظ على حق المستقلين، وغير صحيح ما يشاع عن ان التعديلات الدستورية تنحاز لنظام القائمة، حزبيا لم ندرس الموضوع. رأيي الشخصي هو الدمج بين التوجهين، لان النظام الفردي أضعف الأحزاب والفئات المهمشة كالمرأة والأقباط لكنه يتيح علاقة مباشرة للنواب مع الناخبين، وفي نفس الوقت فان القائمة تقوي الأحزاب، وتتيح تمثيلا أفضل للفئات السياسية المختلفة.

• تتحدث، وأيضا مؤتمركم القادم، عن الفئات المهمشة، لماذا لا نفعل كما جمهورية إيران "الإسلامية" ونحدد "كوتا" كتمييز إيجابي لصالح الأقليات، وكما دول أخرى لصالح المرأة؟

ـــ أنا ضد "الكوتا". المشكلة أن التمييز الايجابي يتحول إلى ثوابت كما حدث لنسبة العمال والفلاحين. الحل في العلاج عبر النظام الانتخابي أو ميثاق شرف بين الأحزاب، لترشيح نسب متفاوتة من الفئات المهمشة سياسياً، وعلى حزبنا أن يلتزم قبل الجميع. على الأقل حتى نتجاوز خلل الوعي الثقافي والاجتماعي الذي يستبعد فئات معينة.

• أنتم كحزب نظرتكم فوقية للناس.. نظيف يتحدث عن شعب لم ينضج بعد للديمقراطية، وأنت تقول لـ(جاكسون ديل) في واشنطن بوست أن قطاعا من الرأي العام يعرقل الاصلاح، وتتكلم عن "الاحتياج لتثقيف وسلوك وأجيال"؟

ـــ يبدو أن هناك التباسا فيما نسب إليّ. لا أرى أن الثقافة معوق لنيل الحقوق السياسية أو الاصلاح. الديمقراطية قيمة عالمية، وبالطبع تختلف طرق التطبيق. أيا كان مستوى الوعي، يجب أن نبدأ ونتطور حتى نصل للنموذج المنشود. لكن، لنكن صرحاء، بدون وعي ثقافي لن ينتخب قبطي في دائرة معظمها مسلمون ولا عدد مناسب من النساء. هذا الوعي ذاته لن يتحقق الا بالممارسة الديمقراطية.

• هل المشكلة في الثقافة فقط، نائبة طوخ [1].. المركز الريفي، عاملة بسيطة وهزمت مرشحي الإخوان والوطني. ألا

تعتقد انها استسهال حزبي.. او قل ان وعي ثقافي مختل يسيطر أيضا على الوطني.. وأنت أمين تثقيفه؟

ـــ الواقع يفاجئنا بحالات استثنائية. في الدورة السابقة كانت هناك أكثر من نائبة.. احداهن في الصعيد. لكن يظل الوعي الثقافي منحازا ضد المواطنة والمرأة. كأمين تثقيف أروج، مع زملائي، لثقافة تنويرية، لكني أظل أمين تثقيف حزب والأمر يحتاج لجهد قومي. تجربتي في الحوار مع الشباب، جامعي وحزبي وقبطي، أشعرتني بحالة خواء يعيشونها، وهذه نتيجة طبيعية لقلة الحوار معهم، وضعف الجهد القومي والحزبي في هذا الصدد، خاصة في مؤسسات التعليم.

* ماذا عن الشباب القبطي الذي اعترفت أمامه بوجود تمييز ضدهم وطالبت بفضحه؟

ـــ كانوا غاضبين جدا، لهم حق في بعض القضايا وفي أخرى يبالغون، ولكني اعتقد انه ما زال هناك قدر من التمييز في الثقافة السائدة ضد الأقباط وضد المرأة، لكن التمييز لا يعني الاضطهاد كما يروج البعض داخليا وخارجيا، فهناك جهود تبذل للقضاء عليه التمييز، لكن تغير القيم الثقافية يحتاج لسنوات.

* غضب قبطي، عمالي، نقابي، صحافي.. وعطشانين، إلى أين نحن ذاهبون؟

ـــ نحن في حالة مخاض، مصر تنتظر مولودا لا أستطيع تحديد ملامحه بدقة، لكنها لن تظل في مخاض للأبد. هناك رغبة في الاصلاح وحراك اجتماعي وسياسي، وقوى التغيير في مصر

كثيرة.. سواء في داخل النظام أو الحزب الحاكم أو خارجه بالمجتمع المدني والأحزاب والحركات السياسية والاعلام، ولن ترجع العجلة للوراء. وبالتبعية قدرة النظام على السيطرة على عقول ووعي الناس ضعفت جدا.. وأرى ذلك إيجابيا، فأحدث استطلاع رأي قال إن ٤٨% من المصريين يتابعون الفضائيات.. هناك حوار فعلي في القنوات الرسمية، وأيضا تنامي تأثير وتوزيع الصحف المستقلة والمعارضة، وثالثا نشاط تشكيلات المجتمع المدني، وكل ذلك سيؤثر في شكل مصر الجديدة التي لم تولد بعد.

• أين المشكلة اذن؟

ـــ في ان سرعة تغير المجتمع وتوقعاته تفوق سرعة وحجم تغير السياسات العامة. وما زال هناك فجوة بين التوقعات وما تحقق على الواقع.. والمسئول الذي لا يستطيع ان يتعامل مع هذا الحراك السياسي والاجتماعي سيتلاشى.

• ولماذا لا تتحركون نحو اصلاح حقيقي؟

ـ أقر ان هناك فجوة بين أمال الناس والسياسات المطروحة، لكن لا تنس اننا دولة نامية ومواردها محدودة نسبيا. مثلا مشكلة العطش.. فعلا فيه ناس لا تجد ماء تشربه.. لكن آخرين يرون ان من حقهم ري حدائقهم وغسيل سياراتهم بنفس المياه، كلاهما يرى نفسه محقا.

• أليس دور الدول هو التوزيع العادل للموارد؟

ـــ أنا مؤمن بذلك، حتى الرأسمالي منها يوفر حدا أدنى من العدالة الاجتماعية عبر ضمان حق التعليم والصحة.. إلخ.

• لهذا وصفت الوطني بانه "يسار وسط". رأي شخصي أم حزبي أم "سياسات"؟

ـــ أنا وآخرون في الأمانة نؤمن بذلك، ولكن آخرين يرونه يمين وسط، الجميع يؤمن بدور للدولة وآخر للقطاع الخاص، الخلاف حول مساحة كل منهما.

• ألا ترى تناقضا، وإلى من نميل في توصيفه؟

ـــ طبعا هناك فارق كبير. الفيصل في موقف القيادة، تحديدا الرئيس مبارك الذي يؤمن بدور الدولة في تحقيق العدالة الاجتماعية وحماية محدودي الدخل، رفض بحسم في التعديلات الدستورية الأخيرة، أي مساس بمجانية التعليم أو الصحة والدعم.

• تبدو "الأمانة" ككيان غامض، لا رابط بين أطرافه، كيف تدور آلية صنع القرار فيها؟

ـ هي مكونة من ثلاثة مستويات.. الأول هيئة المكتب وتضم تسعة، هم: جمال.. الأمين، وعضوية يوسف بطرس غالي، أحمد عز، محمود محيي الدين، رشيد محمد رشيد، حسام بدراوي، محمد كمال، محمد الدكروري، ويضاف إليهم عالية المهدي وحسن السيد عبدالله ليكتمل تشكيلها. ثم المجلس الأعلى للسياسات، به ١٣٠ عضوا، وهو بمثابة حلقة وصل بين المستويين.. السياسيين والخبراء المتخصصين. الثالث.. اللجان المتخصصة، تسع، تضم ٥٠٠ عضو. لكل منها رئيسان مناوبان.. أحدهما أمين الأمانة المختصة في الحزب.. والثاني الوزير المختص. وبكل

منها من ٥٠ـ ١٠٠ عضو، أكاديميون.. ورؤساء وعمداء وباحثون، وخبراء.

* هذا التشكيل النظري، نسأل عن الممارسة؟

ـ أجندة العمل تضعها هيئة المكتب بالتنسيق مع الأمانة العامة، وتنطلق أساساً من المؤتمرات السنوية. لكن المطبخ الأساسي هو اللجان.. الطاقة، الاقتصادية، الشباب، المرأة، الزراعة، مصر والعالم، التعليم والبحث العلمي، الصحة والاسكان، النقل. يناقشون كمتخصصين الأفكار التي تحددها أجندة الأمانة، ويعدون الدراسات والأبحاث، ثم ترفع للمجلس لمناقشتها في اطار السياسات العامة للحزب والأبعاد الاجتماعية التي لا يتوقف عندها أعضاء اللجان كمتخصصين.

* مازلنا في "النظري" ما دور الحلقة الضيقة حول أمين السياسات؟

ـ ان تناقش وتتفق وتعدل وفق ثوابت الحزب، وتعرض توصياتها على الأمانة العامة، التي هي صاحبة القرار الأخير.. وطريقة وتوقيت اقتراحه على الحكومة.

* نقاش حقيقي؟.. مثلا هل تختلفون فعلا ويحتد الجدل بينكم كما أي مجموعة تتناقش، وكيف يتجه التصويت.. هل نحو رأي جمال؟

ـ بالطبع نختلف ويتحمس كل منا لوجهة نظره، وليس ضروريا ان نحتد ضد بعضنا لنثبت حيويتنا السياسية. نتناقش

ونتجادل.. ونتوافق حول رأي الأغلبية.. أيا كان موقع أمين السياسات منها.

• أنتم، أسف، "شلة اقتصاد وعلوم سياسية"، قليلو الخبرة وهواة، سمحت لكم ظروف نجل الرئيس بركوب العمل السياسي، وعلى حد تعبير هاني شكر الله "مجموعة من ناطقي الإنجليزية بلكنة أمريكية.. تتحدثون عن ليبرالية لا تعرفونها ولا تمارسونها"؟

ـــ لا داعي للأسف. السياسة والاقتصاد علم، ودول العالم تستعين بخبراء فيهما، ولا يعيبني انني حاصل على دكتوراه في العلوم السياسية، وزملاء لي حاصلون على دكتوراه في الاقتصاد. العيب ان نتقوقع في محراب أكاديمي وننعزل عن المجتمع المحيط بنا وعن قضايا وطننا. دوري أن أقدم ما تعلمته كرؤى وسياسات، وفي نفس الوقت العمل الحزبي والبرلماني يعطيني خبرة عملية أستفيد منها في تطوير افكاري. في معظم دول العالم هناك أسماء جاءت من الأكاديمية ولمعت في السياسة مثل كسينجر، وبريجنسكي، كانا أستاذين في جامعة هارفارد. يسمون ذلك "الباب الدوار"، يعطي للأكاديمي فرصة العمل العام، وللمسئول السابق فرصة الاحتكاك الأكاديمي.

• ألهذا وُصفت بالمنظر السياسي لجمال.. وطاهر حلمي ثم محمود محيي الدين بالمنظر الاقتصادي له؟

ـــ لست منظرا له. أعمل في إطار مؤسسي ضمن فريق عمل نفكر معا، أنا أحدهم.. مؤهل في أشياء ودرستها واحتككت بتجارب معنية.

• ماذا حققتم؟

ـ ليس كل ما نطرحه كفريق يطبق. مثلا درسنا تجربة لجنة الانتخابات في عدة دول منها الهند وطرحنا الأفكار، بعضها أخذ به وبعضها لا. فعملية صنع القرار بها أطراف عديدة، والحزب وأمانة السياسات ليسا الطرف الوحيد في معادلة الحكم، فهناك مؤسسات أخرى تطرح وجهات نظرها في مختلف القضايا.

• تتكلمون عن الديمقراطية والإصلاح.. الخ، وكلكم معينون في مجلس تشريعي، أنت والغزالي حرب وحسام بدراوي والشريف وعلي الدين هلال؟

ـ كلنا منتخبون في مواقعنا الحزبية، وستجرى انتخابات جديدة لأعضاء الأمانة العامة في مؤتمر الحزب القادم. مجلس الشورى له طبيعة خاصة منها حق الرئيس في تعيين قطاع كبير منه لتعويض خبرات معينة يراها. هذه سلطة دستورية للرئيس يستخدمها. السؤال، هل أضيف للموقع الذي عينت فيه أم لا.

• وماذا عن القوى المختلفة، تتحاورون معها.. والنتيجة هي هي قبل الحوار وبعده، مع أي قانون قادم كما مع التعديلات الدستورية؟

ـ غير صحيح. افتح برنامج الوفد أو الناصري أو التجمع، ستجد ان عدة تعديلات دستورية كانت مطلباً لها، مثل إلغاء المدعي الاشتراكي ومحكمة القيم وتعديل النظام الانتخابي وتخصيص مقاعد للمرأة.. وغيرها.

• هل الحوار يكون حول المتفق أم المختلف عليه؟

ـــ السياسة ليست مباراة صفرية، لا احد يحقق كل مطالبه. انت حزب أقلية، كيف أستجيب لكل مطالبك على حساب برنامجي وانـا أغلبـية. مع ذلك أقر اننا نحتاج لحوار أوسع مع الأحزاب، وانــه ربما كان هناك توجه قاصر في الماضي لاضعافها، اضافة الـى أسـباب هيكلية بداخلها، لتصبح البدائل المتاحة أمام الناخب هي.. الوطني أو الإخوان. أتحدث هنا كأكاديمي لا كحزبي، فجزء كبير مما حصل عليه الإخوان كان تعبيراً عن تصويت احتجاجي فـشلت المعارضة الحزبية في نيله. علينا بحث سبل تقوية حقيقية للأحزاب، وهي أيضا عليها حل مشاكل نعاني منها ليس لها علاقة بالوطني.

• تـتحدث عن "بدائل" لكن يبدو انكم لا ترون بديلا مستقبليا غيـركم، في مارس ٢٠٠٥ تعد المصريين في الخارج بالتصويت فـي انـتخابات ٢٠١١، ولأحمـد عز تصريحات مماثلة، وجمال يتحدث عن القاهرة بعد خمسين عاما؟

ـــ عن نفسي، كنت أتحدث عن رأي تمنيت ان يتحقق وهو ان يكـون للمـصريين فـي الخارج حق التصويت في انتخابات الرئاسة، على الأقل لتقوية أواصر الانتماء للوطن.

• قلـت ان توصـيات لأمانة سياسات لم تنفذ، عدا.. نسبيا، الاقتصادية، التي هي أفكار مجموعات رجال الأعمال؟

ـــ الجـدل حول الاصلاح الاقتصادي مستمر من منتصف السبعينيات وناس معاه وأخرون ضده وثالث متحفظ. أخيراً أصبح لـنا توافق في الرؤى حوله، المسألة أخذت وقتا حتى وصلنا إلى

هذه النقطة، وهذه رؤية الحزب لا رجال أعمال. بالمقارنة، قضايا الاصلاح السياسي مازالت محل جدل داخل الحزب أو خارجه، وسنأخذ بعض الوقت حتى نصل إلى توافق حول مسائل مثل العلاقة بين الدين والسياسة. مع ذلك فعدة اصلاحات سياسية طرحتها الأمانة وجدت سبيلها للتنفيذ مثل المجلس القومي لحقوق الإنسان، وتعيين المرأة قاضية، والتعديلات الدستورية وتعديلات القوانين السياسية.

* أصر كمال الشاذلي على مناداتك.. "الأخ أحمد كمال" في مؤتمر ٢٠٠٣، وفي ٢٠٠٤ أصبحت منسقاً اعلامياً للمؤتمر ثم متحدث رسمياً باسم السياسات، وفي ٢٠٠٥ مسئول ملف الإعلام في حملة الرئيس الانتخابية، وأخيرا خلاف مع الشريف أثناء مناقشة التعديلات الدستورية. هل نتكلم عن تطور صراع الحرسين القديم والجديد؟

ـــ "الأخ أحمد"، ربما كان نسيانا للاسم. الأستاذ كمال الشاذلي، أدى دوراً هاماً في الحزب وكان عضواً أساسياً بلجنة تطويره. شغلي الأساسي كان مع أمانة السياسات لا مع الأمانة العامة. الحملة كان يقودها الرئيس بنفسه، وكانت هناك لجنة للاشراف ضمت الأمانة العامة والأمين العام وأمين السياسات.. الخ، ومعها مجموعة تسيير يومي انطلقت من أمانة السياسات، فهناك تقسيم عمل داخل الحزب يسمح للكل بأن يتحرك في مجاله. عامة، هناك أجيال مختلفة داخل الحزب، وطبيعي أن يكون هناك خلاف في وجهات النظر.. حتى داخل الجيل نفسه، ولا أسمي

ذلك "صراعا". هناك قوى للتغيير وأخرى للاستمرارية، التي لا تعني دائما الجمود، هذا يفسر تعدد الرؤى التي تخرج من الحزب، مزج بين رؤى جيلين، تجمع ما بين التغيير والاستمرارية بمعناها الجمود.

موضوع مجلس الشورى فيه مبالغة، كل ما حدث انني، ربما، تجاوزت المدة المقررة للحديث ورئيس المجلس استخدم حقه في تنبيهي.

* وماذا عن مستقبلك، رشحتك تسريبات لتخلف فاروق حسني وزيرا للثقافة، وقبلها وزيرا للاعلام، وثالثة رئيساً للمجلس الأعلى للشباب، وقيل انك التقيت الرئيس فعلاً أثناء تشكيل وزارة نظيف؟

ـ كلها تكهنات اعلامية لا أعرف مصدرها.

* مؤتمركم بعد أيام. وهناك حديث عن اطاحة رءوس وتقدم حاسم للسياسات.. على حساب الشريف؟

ـ لا رءوس طائرة.. لاننا لا نعرف هذا الأسلوب أصلاً، هذا الكلام من جرائد وسياسيين معارضين. ولا أعتقد ان الحزب يحتاج لتغيير على هذا المستوى القيادي، فبنيته متناغمة وقادرة على التعايش معا، حتى في حالة اختلاف وجهات النظر الطبيعي فيما بينها. و"صفوت بيه" يعطي الأجيال الشابة مساحة واسعة للمشاركة، ويقود الأمانة العامة بسلاسة وحنكة سياسية.

٢٠٠٧-١٠-٢٨

هوامش

(١).. وأيضا.. شريك في مكتب ماكنزي الأمريكي للمحاماة، ويتولى حزمة قضايا للحكومة المصرية دولياً. عضو مجلس أمناء هيئة الاستثمار. أحد أبرز ممولي (حركة سوزان مبارك الدولية للمرأة من أجل السلام) وعضو مجلس إدارتها. عضو بعثة طرق أبواب أمريكا. شريك في محطة أف أم. الإذاعة الوحيدة الخاصة في مصر مع عماد أديب. ومساهم رئيسي في شبكة شوتايم التلفزيونية. السفير الأمريكي ضيف دائم عليه. آخرها الثامنة أغسطس ٢٠٠٧ بقصر طاهر بـ(هاسيندا).. قرية "السوبر نخبة" التي يملكها محمود الجمال، حما جمال مبارك. وليس أخيرا مؤسس وراعي المركز المصري للدراسات الاقتصادية.. مفرخة قوانين "الاصلاح الاقتصادي" لفريق التوريث.

(٢) عضو دائم في أمانة السياسات، وبالتبعية عُين في مجلس الشورى. استقال من الحزب الوطني أثناء مناقشة تعديل المادة ٧٦، بعد ثلاث سنوات ونصف من انضمامه إليه. وتقول دوائر الحزب إن استقالته كانت بسبب رفض الحزب دعمه في انتخابات نقيب الصحفيين، التي جاء فيها ثالثاً. وافقت الدولة على تأسيسه حزب الجبهة الديمقراطية، الذي سرعان ما دخل في نفق الصراعات الحزبية وهجره عدد من الرموز المرموقة.

(٣) رجل أعمال يتركز نشاطه في المجال الطبي، الوحيد الذي أعلن صراحة نية الحزب الوطني ترشيح جمال للرئاسة. انهزم في انتخابات مجلس الشعب الأخيرة أمام هشام مصطفى خليل، نجل نائب رئيس الحزب الوطني، وعين نائباً بمجلس الشورى. كان الوحيد بين الحرس الجديد الذي رفض بحسم حكم سجن الزميل إبراهيم عيسى ودعم فكرة عدم تنفيذه ثم العفو.

(٤) جمالات رافع، عضو مجلس الشعب طوخ/ القليوبية، ناشطة نقابية. رغم عضويتها بالحزب الحاكم، فانها بالمعنى الحرفي أربع سنوات حتى أجهضت صفقة مشبوهة لخصخصة مصنع قها الشهير. وبلا دعم مادي أو قوة سياسية أطاحت في انتخابات ٢٠٠٥ بمرشح الوطني/ عمال الصحافي محمود معروف، وفي الاعادة تغلبت على الإخواني "الشرس" محمد دسوقي بفارق سبعة آلاف صوت.

جمال وعلاء

في تغطيتها لأجواء استقبال البعثة الأوليمبية المصرية العائدة بالـذهب والفـضة والبرونـز، قالت وكالة أنباء الشرق الأوسط "الرسـمية": إن نجلـي الـرئيس (عـلاء) و(جمـال) كانا ضمن المستقبلين بالمطار.

لكن التغطيات اللاحقة لها، وفي باقي وسائل الإعلام، لم تشر إلـى وجود علاء، ولم تذكر اسمه، رغم تأكيد زملاء "رياضيين" رؤيـتهم لـه.. لكـنه كان مُتنحياً جانباً، ليظهر جيمي وحده في الـصور التي ملأت لاحقاً الميادين مع الأبطال، ولتثار انتقادات واسعة من معارضي التوريث، لتصدر أوامر عُليا برفعها.. تحديداً من ميدان التحرير.

حتـى قبل بروزهما معاً في أجواء للدورات الرمضانية بيناير ١٩٩٩، سـبق جيمـي الأصغر علاء الأكبر في الظهور، متحدثاً لأول مرة في أكتوبر ١٩٩٨ عن "التعاون الاقتصادى العربي في إطـار الـتعاون الاقتصادى الإقليمي.. وكيف يمنع نشوب حرب جديدة" (!).

وتوالـــي ظهـــور جيمي ليحتل تدريجيا الصورة كلها، ويكاد يختفي اسم علاء.. إلا فيما يتردد".

ومـــا يُقال و"ما يتردد" كثير جداً، ويستحيل توثيقه. لكنه يبدو لـــي أحـــيان كثيرة مبالغاً فيه، خاصة فيما يتعلق بحجم "الثروات" التي يحوزها "الأخوان"، مع تأكيد ان علاء اختص بالجزء الأكبر من النشاط المالي.. دون ان يغيب عنه جيمي.

ما غاب عن جيمي هو نوعية شائعات، تبدو محاولة لـ"غسل التاريخ المالي والشخصي" لعلاء.

فمـــع تنامي صعود شقيقه الأصغر، برزت شائعة، كل يُقسم علـــى صـــحتها، تـــتلخص في ان "مشاكل عائلية" تفجرت بسبب توجهات دينية ظهرت على علاء وزوجته، وانه أطلق لحيته حتى طالـــت صدره (!)، وانها تحجبت بسبب جلسات (عمرو خالد) أو (الحبـــيب بن علي الجفري).. وان كليهما أو أحدهما "رحل" بسبب ذلك.

تصاعدت الشائعة التي تحولت إلى ما يشبه الأسطورة، ليزعم الـــبعض ان علاء بث رسالة عبر الإنترنت يستنجد فيها من تحديد اقامـــته، وانـــه مدين للشعب بمبالغ تتفاوت حسب جلسة الشائعة" يُريد ان يردها للشعب (!).

حدوتـــة أسطورية، تناقضها رؤية كثيرين لعلاء بدون لحية، ومـــع أسرته يتحركون بصورة عادية جداً في مجتمعات القاهرة.. أو لـــندن أو بـــاريس، وظهـــوره - أيضاً - بدون لحية مع والده

وشغيقه في أول صلاة عيد عقب عودته من العلاج في المانيا.. ثم وهو يقسم يمين فترته الجديدة.

تصعيد اعلامي وسياسي لجيمي بموازاة أساطير تطلق عن علاء، ومعها تساؤلات.. لماذا جيمي؟. الإجابة في حوارات (الأم)، التي نادراً ما تشير إلى علاء، منذ محاولة اغتيال الأب في أديس أبابا حتى الآن.

الكرامة

١١-١٠-٢٠٠٥

ع الهامش

جمال وبيع الديون:

حوار مُجهل للأب.

نُشر كاملاً على "١٢" صفحة" بالعدد ٣٥٩٨ من المصور في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٣، وشغل ما يتعلق بـ"بيزنس" ابني الرئيس حجم صفحة تقريبا، موزعة على ص١٢، ١٣ من المجلة. وبالنص:

* سيادة الرئيس: لدي سؤال صريح عن اشتغال أبناء المسئولين في العمل الخاص، "البيزنس"، ألا تقتضي المسألة أن نضع لها بعض القيود والضوابط، برغم أن أولاد الوزراء، ربما يكون من حقهم القانوني أن يعملوا شأنهم شأن الآخرين؟.

• الرئيس: ليس لدى أبناء يعملون بالبيزنس. لدي ابن يعمل في بنك بلندن، والآخر عنده قطعة أرض يزرعها ويعمل في أنشطة "بسيطة" لا علاقة لها بأي مسئول، أو أية دائرة حكومية. هذا أمر يصل – من جانبي - إلى نطاق التحريم.

• سيادة الرئيس: نتكلم عن أبناء مسئولين الذين يشاركون في عطاءات حكومية، ممثلين ووكلاء لبعض الشركات الأجنبية، ربما يكـون ذلك من حقهم القانوني، ولكن درء الشبهات يقتضي بعض الضوابط؟.

• الـرئيس: القانون ينطوي بالفعل على إجراءات وضمانات تكفل سلامة التصرف بالنسبة للجميع.

ومـع ذلـك فانني أكثر تشدداً في هذه القضايا، وحين أجد أياً مـن أبـناء المسئولين دخل في مناقصة وكيلاً لأي من الشركات الأجنبـية، فانني أراقب الامر بدقة بالغة، وأحياناً أتدخل وأطلب الغاء المناقصة وإجراء أخرى مفتوحة.. وأطلب من المسئول إبعاد ابـنه فوراً. لكنني أيضاً لا أريد ان أُغلق الدنيا أمامهم، لان هناك أبـناء ناس عاديين يعملون في هذه الجوانب ويكسبون جيداً.. فما ذنـب أبناء المسئولين ما داموا يعملون بشرف، بعيداً عن مجالات تأثير ذويهم، أما إذا أثر وضعه كابن مسئول على المشروع، أوقفه فوراً.

أخيـراً أوقفـت مشروعاً لانني وجدت أبناء مسئولين ضمن أصـحابه، وطلـبت ممارسة مفتوحة. وأيضاً عندما فازت شركة أجنبـية بمـشروع، وعلمت أن بها إبن مسئول كبير جمدت الأمر تمامـاً. وفي هذه الحالة أكلم المسئول نفسه، وأطلب منه ان يمنع إبـنه مـن العمل في "البيزنس". ورغم ذلك لا نسلم من الألسنة، يقولـون "فلان" واجهة لابن الرئيس.. لا.. لا. ابني ليست له أي علاقة بتوكيلات.

• سيادة الرئيس: هذا قدر الرئيس في العالم الثالث، تلاحقه الشائعات وتلاحق أفراد أسرته، لكن الشائعات تصدر في مصر عن دوائر محدودة، لها هدف سياسي؟.

• الرئيس ضاحكاً: قبل عامين، ملأت الشائعات مصر بأنني تزوجت، وأن الزوجة الجديدة تقيم في الإسماعيلية، هل هذا معقول!. هل يمكن أن يتزوج الرئيس ويظل الأمر سراً.. كي يتسرب في شائعة؟!.

وقبل فترة أخرى، كان يتم تجديد فيللا بيضاء ضخمة بعد النفق المجاور لمنزلنا على طريق المطار. قالوا انها ملك ابني (علاء)، وبالطبع لم يكن ذلك صحيحاً، لانها ملك ثري عربي إهتم بتجديدها أخيراً. ثم تكررت الحكاية مع فيللا أخرى تقع في الشارع نفسه، هذه المرة كانت ملكاً لتاجر مخدرات، جرى مُصادرتها بحكم قضائي واشترتها الدولة كي تكون بيت ضيافة. ومع ذلك انطلقت الشائعات تؤكد ان الفيللا ملك ابني (علاء)، (علاء) يسكن في شقة.

• سيادة الرئيس: قبل فترة راجت شائعات عن دور لابن الرئيس الذي يعمل في بنك بلندن في بيع ديون مصر؟.

• الرئيس: هذه ليست شائعة، اشترك ابني (جمال) بالفعل ضمن أعضاء وفد البنك الذي يعمل فيه، في مفاوضات جرت بين الصين والبنك لشراء دين مصري قديم، قيمته ١٨٠ مليون دولار.

البنك له علاقة مع الصين، وعرض على حكومتها أن يشتري الدين بنسبة تخفيض ضخمة، كي يعيد بيعه لمصريين، وعندما طلب البنك من ابني ان يسافر - ليس لانه ابن الرئيس حسني مبارك - ولكن لأنه يعمل في إدارة الاستثمار التي يدخل في اختصاصها هذا العمل - سألني (جمال) هل اشترك في وفد التفاوض؟.

وكان ردي، وما الذى يمنع، لانها خدمة وطنية، وسافر بالفعل وفاوض هو وزملاؤه الصين على شراء الدين. كانت قيمة الدين ١٨٠ مليون دولار، اشتروه بنصف القيمة أو أكثر قليلا، لصالح البنك، وبشهادة البنك أظهر (جمال) مهارة تفاوضية عالية، استحق من أجلها مكافأة، أعطوه ٩٠ ألف دولار بعد خصم الفوائد، وأعطوا رئيسه ٣٠٠ ألف دولار.

• سيادة الرئيس: ماذا يفعل البنك بالدين الذى اشتراه؟

• الرئيس: يعيد بيعه لمصريين بموافقة البنك المركزي المصري، نظير فائدة أو عمولة، والبنك المركزي يشجع هذه العملية لأنها تساعد مصر على التخلص من بعض ديونها، لان شراء هذه الديون يتم بنصف قيمتها. والبنك المركزي يضع الشروط ويراقب التنفيذ.

سأحكي لك شيئاً غريباً، ذهب رجل أعمال إلى لندن ليشتري حصة من هذا الدين بموافقة البنك المركزي، سأل عن ابني (جمال)، متصوراً انه سيساعده. كان رد (جمال) واضحاً: دوري

المقتصر على المشاركة في وفد التفاوض مع حكومة الصين، أما إعادة البيع للمصريين فيخرج عن حدود مسئوليتي ولا علاقة لي به.

• سيادة الرئيس: ما هو حجم الديون التى تم بيعها على هذا النحو لمصريين، لان الرقم المتداول "٢٠ مليارا" يصعب تصديقه؟.

• الرئيس: لا أظن ان الرقم يتجاوز مليار دولار على أكثر تقدير، وسأسأل الان محافظ البنك المركزي، لكن حجم دين الصين لم يتجاوز ١٨٠ مليون دولار، وطلبنا من حكومة الصين خفضه إلى ٥٠ %، لكنها رفضت في هذا الوقت.

<< الرئيس يطلب مكتب صلاح حامد محافظ البنك المركزي>>. قال د. صلاح حامد رداً على إستفسار الرئيس، ان مُجمل الديون التي عُرضت للبيع على هذا النحو لم تزد عن مليار ومائة مليون دولار، تم بيعها جميعاً، فيما عدا ٣٠٠ مليون دولار من مصريين، بموافقة البنك المركزى وتحت رقابته.

من سيخلف حسني مبارك[1]:
الابن والشيخ والجنرال

ماري آن ويفر

من الجوانب المذهلة في حكم مبارك المستمر منذ ٢٢ عاماً، وإن كان قليلاً ما يُناقش خارج الشرق الأوسط، هو أنه لم يُعين نائباً للرئيس أو وريثاً، وهو شيء لم يجرؤ عليه لا السادات ولا عبد الناصر. كانت مشكلته دائماً هي ما إذا كان يتعين عليه أن يُعين مدنياً أم عسكرياً. وأخيراً يبدو أنه يُعد الآن وريثاً في كل معسكر، جنرالاً.. ورجل أعمال، الأول أوثق مساعديه.. والثاني ابنه.

حتى فترة ليست بالبعيدة، كان عدد لا يُذكر من المصريين يعرف من هو (اللواء عمر سليمان) مدير المخابرات المصرية القوي. فقد بقي سليمان، ٦٧ عاماً، لسنوات هائماً في الظل. بعد ذلك وبشكل غريب بدأ الجنرال يظهر للعيان.

ظهوره كان أشد غرابة لأنه تزامن مع ظهور (جمال) الابن الأصغر للرئيس. سليمان عضو في أقوى المؤسسات الحاكمة في

مصر، المؤسسة العسكرية التي تعتبر ان من حقها تولي الحكم، تربى في ميادين القتال ضد اسرائيل. ويمثل القانون والنظام والإستقرار.

جمال الذى كان طفلاً عام ١٩٦٧، حين وقعت أشد تلك الحروب ضراوة، تربى في قصور أبيه وفي أفضل الجامعات والنوادي الخاصة. ويمثل الاصلاحات الاقتصادية واصلاحات الحزب الواحد السياسية.

ويرى كثيرون ان سليمان كبير جداً في السن.. بينما جمال صغير جدا، وان لا هذا ولا ذاك يثير حماس المثقفين والمهنيين المصريين الذين سيحكمهم أى منهم. لكن اسم كل منهما لمع بشكل كبير العامين ونصف العام الماضيين، والطبقات الثرثارة ما تزال تتساءل.. هل ينبغي ان يروج مبارك وجنرالاته لعسكري اخر من داخل النظام؟. أم ينبغي ان ينضموا الى غيرهم من زعماء العالم العربي الاستبدادي بتأسيس المفهوم المتناقض لعائلة حاكمة جمهورية؟.. هل سيقاوم الجيش؟. أم ان الوقت قد حان لانتخابات حرة ونزيهة، مع احتمال ان يفوز شخص من الخارج؟.. وسيكون من شبه المؤكد من الإخوان المسلمين. هل ينبغى ان يعين مبارك نائباً له.. ايضاً أم رجلاً عسكرياً أم شيخاً؟.

الاجابة على هذه الاسئلة حاسمة، لا لمصر فحسب بل للولايات المتحدة أيضاً، ولباقي العالم العربي الذي تتأثر فيه الأوضاع، تلقائياً، بما يحدث في القاهرة.. العاصمة الجيوبولوتيكية والثقافية والفكرية للمنطقة.

بقامته الطويلة وجسمه المتناسق وملامحه الصبيانية وشعره القصير وابتسامته الجذابة. يبدو جمال مبارك أقرب شبهاً لأمه، التي تختلط أصولها المصرية بأصول من ويلز البريطانية، منه للرئيس الضخم الجثة، المحايد الملامح.

لجمال أنف معقوف وشعر داكن وعينان سوداوان، يتحرك بخطوات واسعة تشي بقوة العزيمة. يحب ارتداء أحدث الموضات، والبدل التي تفصل يدوياً من أفخم الأقمشة الانجليزية، والأحذية الإيطالية اللينة الجلد.. المصنوعة يدويا . من الناحية المهنية، جمال أو (جيمي) كما يدعوه أصدقاؤه، "مصرفي" ومستشار مالي ومؤسس أو رئيس لعدد كبير من المؤسسات ومجالس الإدارات.

تخرج في الجامعة الامريكية بالقاهرة حيث حصل على درجتي البكالوريوس والماجستير في الادارة. وباعتباره أعزب، يُقال انه يتمتع بصحبة الجميلات ولديه ولع بالسيارات الرياضية الغالية.

بخلاف الأبناء الذين ينتظرون وراثة السلطة في العالم العربي، لم يُبد جمال خلال معظم حياته انه يسير على طريق خلافة أبيه. لكن بُعيد هجمات ١١ سبتمبر بدأ أبوه يعده لذلك. وبالنظر الى الوراء الأن يمكن رسم خطين متوازيين بدقة غريبة بين تراجع العلاقة المصرية الامريكية الذى صاحبته ضغوط متنامية من أجل تطبيق اصلاحات سياسية وبين صعود نجم الابن.

في منتصف التسعينات عاد جمال الى بلده بعد ان قضى ست سنوات في لندن، حيث عمل في مصرف أمريكي وسرعان ما حصل على مركز بارز في الحزب الوطني الديمقراطي. وفي سبتمبر من العام الماضي، عندما أبدت ادارة (بوش الأول) تأييدها العلني لتغيير النظام في العراق، ترقى جمال في الحزب إلى منصب جديد، هو أمين السياسات المكلف بالإصلاح. وبدأ مرافقة والده في زياراته الرسمية للخارج وحضور اجتماعات مجلس الوزراء، مما أثار غضب أعضاء الحكومة الذين تجاوز معظمهم السبعين عاما.

كما أسس (جمعية جيل المستقبل) تحت شعار مساعدة الشباب المصريين على العثور على مكان في الشركات وفي الحياة العامة، وأسس شركة (ميدانفست) التي تصل قيمة أصولها الان الى ١٠٠ مليون دولار.

لكن أولويته الرئيسية، فيما يبدو، هي كسب تأييد مجتمع الاعمال، الفائق الثراء، وهو العنصر الوحيد الجديد في الساحة السياسية المتحجرة في مصر. ومعظم أعضاء هذا المجتمع من الشباب، ويمثلون الدائرة الانتخابية الطبيعية لجمال، كما انهم يعلمون جيداً مثله ان الاصلاح الاقتصادي تأخر كثيرا.

يتحرك جمال بسهولة في عالم الفيلات الخاصة بهم في الصحراء والمنتجعات المقامة لقضاء عطلات نهاية الأسبوع على شاطئ البحر، ويشعر فيها براحة أكبر من مرافقة العسكريين

المحيطين بأبيه، أو مسؤولي الحزب القدامى.. حملة الألوية بحزب يتفشى فيه الفساد والمحسوبية.

ويشعر المرء أن حسني مبارك لم يكن واثقاً من الطريقة التي ينبغي أن يظهر ابنه عليها. هل المدافع عن الاصلاحات الاقتصادية في نظام السوق الحرة؟. أم الراعي لقطاع التليفون المحمول المزدهر في مصر؟. أم المصرفي الذي أشرف على تعويم الجنيه في يناير؟. وهو احد الاصلاحات الاقتصادية التي كانت واشنطن تطالب بها منذ سنوات. أم أن يوصف بانه تلميذ (بيتر ماندلسون) [١]؟. عضو البرلمان البريطاني الذي أعاد تشكيل حزب العمال.. و(توني بلير)، ويحاول الآن إعادة تشكيل جمال. أم.. ببساطة "ابن أبيه"؟ .

لم يعد أمام حسني مبارك وقت يذكر ليقرر ما هي الشخصية التي تلائم جمال، فقد بدأ لتوه عملية دقيقة لوضعه في اطار قانوني، عندما بدأت الحرب الامريكية في أفغانستان ثم أعقبتها الحرب في العراق.

في نفس السياق هناك اتهامات مثيرة، بشكل خاص، موجهة لـ"عصابة الأبناء"، الاسم الذي يطلق على أبناء عدد من مسؤولي مبارك، يشاركون في معاملات تجارية وكان أكثر الاسماء ترددا، (علاء) الشقيق الأكبر لجمال، والذى نتيجة لذلك، كما قال دبلوماسي غربي، لم يعد الوريث المحتمل لوالده.

أثرت مسألة الخلافة مع لواء متقاعد، قال وهو يبتسم: لا زلنا مثل أبو الهول. مع ذلك فعندما تذهبين الى أي نادٍ للضباط

ستسمعين المناقشات تدور هناك. مصر ليست بلداً تتوارث فيه الحكم عائلة واحدة. هذا الامر لم يحدث من قبل. وتقاليدنا هي أن البلد يجب أن يحكمه رجل عسكري. كان لـ(عبد الناصر) ابن وكان لـ(السادات) ابن، ولم يُهيأ أي من الابنين في الحالتين. لم يفكر أحد في المسألة أساساً.

وسألت (علي الدين هلال الدسوقي) وزير الشباب، الراعي السياسي الأساسي لجمال، عما يعتقده بشأن إنتقادات اللواء. فقال دون أن يجيب على السؤال: من أهم أوجه القوة في جمال ادراكه لضرورة الاصلاح. أُنظري الى تركيبتنا السكانية، أن ثلثي السكان تحت سن الخامسة والثلاثين. ويدخل ٨٠٠ ألف خريج سوق العمل كل عام، يشكلون ٩٠ % من البطالة عندنا. ويفهم جمال أيضاً مشكلتنا الثانية، وهي نتيجة للأولى، انتشار التطرف الديني خاصة بين الشباب. لقد ظل لبعض الوقت الدين هو حديثنا الوحيد الفعال، أصبحت كل مسألة يتم تلبيسها عباءة الدين. هل يُقر الفائدة في البنوك؟.. هل يُقر الدين السياحة؟.. ما هو نمط الحياة الإسلامية الملائم؟.. أصبح الدين يتخلل كل شيء. يعلم جمال هذا.

سمعت تقييماً مختلفاً عن جمال من (هشام قاسم) [٢] ناشر مجلة (كايرو تايمز) الأسبوعية التي تصدر بالانجليزية ورئيس المنظمة المصرية لحقوق الانسان. قال: تابعت خطب جمال، ومثل أي رئيس تحرير جاهدت لأجد شيئاً جديداً.. لا شيء هناك، جمال شخص عادي ولا شيء أكثر من ذلك. كان تلميذاً عادياً ومصرفياً عادياً.

وردد مسؤول أمريكي قابل جمال مرات نفس الرأي. قال لي: انه يترك انطباعات جيدة. واثق من نفسه للغاية ويفهم أكثر من والده من أين أتى الامريكيون. هذا هو الموضوع.. لكن ماذا يوجد في الداخل؟.

يعتقد قاسم انه لا يوجد شيئا أكثر من ذلك. قال: لا أعتقد ان جمال منافس جدي على الرئاسة. يجب ان يفهم أبوه خطر ان يرث شخص غر مثل جمال المنصب، انه ببساطة لن يستمر فيه، ربما ثلاثة أشهر.. ربما أقل، ثم يقع إنقلاب مضاد أو يُوضع جمال تحت الاقامة الجبرية.

من الأمور الأكثر اثارة للدهشة بشأن مبارك الأب.. انه واصل إعداد جمال رغم استياء جنرالاته. خلال الفترة التى قضيتها فى القاهرة، كان جمال يقوم بجولة فى الولايات المتحدة على رأس أول وفد رسمي الى واشنطن. وهناك ألتقته صحيفة (واشنطن بوست)، وهو ما لم ترض عنه ادارة بوش. وعندما سُئل عن تقارير عديدة، بينها تقرير للخارجية الامريكية، عن الانتقادات لـ"لا ديمقراطية" مبارك.. وان احتمال ظهور أسرته كحاكمة هو أسهل الطرق لاستفزاز المعارضين؟. رد: هذا سخيف. وأضاف بحماس: فيما يتعلق بالانتخابات.. فيما يتعلق بالمعارضة.. فيما يتعلق بالاصلاح والسماح بالرأي المضاد.. قطعنا شوطاً طويلاً.

وافق مبارك على مظاهرتين ضخمتين معاديتين للولايات المتحدة، في محاولة لتحويل اتجاه الغضب الشعبى بشأن العراق. نظمت المعارضة ومعظمها من الإخوان المسلمين الأولى.. أما

الثانية فنظمها الحزب الوطني، وشارك جمال في استضافتها. وأشرف على الترتيبات الأمنية في كلا المظاهرتين اللواء عمر سليمان.

(قنا) مدينة بصعيد مصر في وسط الصحراء، تدعو الى التأمل والحزن، أهلها مثل باقي سكان الصعيد، أكثر أفراد الشعب المصري تعرضا للتجاهل، وأكثرهم فقراً وأقلهم تعليماً وخضوعاً للسيطرة. تشتهر المدينة بانها منطقة عشائر يحكمها قانون الشرف الذى يستلزم الثأر من أي عمل خاطيء. مدينة صغيرة غير مزدحمة وتضم ثلاث أو أربع حدائق صغيرة مهملة. زرت المدينة كثيراً كصحفية خلال التسعينات، لانها كانت في قلب حملة العنف الإسلامي ضد حكم مبارك. فيها وُلد عمر سليمان عام ١٩٣٥.

يُذكرني اللواء سليمان بعض الشيء بأنور السادات. طويل ونحيف له ملامح أهل الصعيد والنوبة كما كان السادات. بشرته شديدة السمار وقسمات وجهه لا توحي بالهم كما هو حال معظم المصريين. شعره داكن، لكنه شبه أصلع الأن، ويعوض الصلع شارب رمادي داكن.

ترك سليمان قنا عام١٩٥٤متوجهاً الى القاهرة وعمره ١٩ عاما ليلتحق بالكلية الحربية الذائعة الصيت. كان الطريق الذى سافر عليه هو نفسه الذى قطعه عدد من أعضاء الإخوان البارزين، الطريق التقليدى للسفر الي الشمال من أماكن مثل قنا، كي يصبح المرء إما عسكريا أو شيخاً.

بعد تخرجه في الكلية الحربية أرسل سليمان بقرار من عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتي، أكبر مورد سلاح الى مصر حينئذ، للحصول على تدريب متقدم فى أكاديمية (فرونز) العسكرية فى موسكو. قال لى لواء متقاعد، تلقى تدريبه أيضا فى (فرونز)، بعد تخرجنا استدعانا عبد الناصر وقال لنا انه يطلب منا شيئا واحدا، نريد ان نرجع الى بلدنا معادين للشيوعية. هذا ما فعله عمر سليمان. ووقعت حربان بين العرب والاسرائيليين بعد عودته الاولى ١٩٦٧ والثانية ١٩٧٣.

فى منتصف الثمانينات، حيث أثبت تفوقه كخبير استراتيجي عسكري وحصل على درجتي البكالوريوس والماجستير في العلوم السياسية من جامعتي عين شمس والقاهرة، انتقل سليمان الى المخابرات الحربية حيث بدأ ما تحول الى علاقة طويلة مع واشنطن. وتعززت هذه العلاقة خلال الحربين اللتين خاضتهما ادارتا بوش ضد العراق.

ففي عام ١٩٩١ كان سليمان مدير المخابرات الحربية. عندما أثيرت احتمال ان يخلف مبارك في الرئاسة، قال لي مسؤول أمريكي عمل مع سليمان لسنوات، "كان مديرا سابقا بالمبادرة وكان يسبقنا أحيانا. انه رجل معتدل ومهذب للغاية وله خبرة طويلة هناك. مقبول من مجتمع رجال الأعمال. لكن عددا قليلا للغاية يعرف اراءه السياسية. بعد كل ما قيل أعتقد اننا سنشعر بالراحة في التعامل معه على المدى البعيد".

فــي عــام ١٩٩٣ عين سليمان مديرا للمخابرات العامة على رأس أهــم مــنظمة عربية لجمع المعلومات، لتصبح فعلياً رئيس وكالة المخابرات المركزية المصرية.

لــم تتطور العلاقة بين اللواء سليمان وبين مبارك الى ما هي علــيه الأن حتى صيف ١٩٩٥، كان مبارك يعتزم حضور مؤتمر قمــة مــنظمة الــوحدة الافــريقية في أديس أبابا. وخلال اجتماع لمجلــس الوزراء قبل يوم من مغادرته أصر سليمان على ان يأخذ مــبارك معه سيارته المرسيدس المصفحة الى العاصمة الاثيوبية. أعرب مستشارو مبارك للسياسة الخارجية عن دهشتهم، قائلين ان ذلك "اهانة بالغة للاثيوبيين"، لكن سليمان تشبث برأيه.

في الساعة الثامنة و ١٥ دقيقة صباح ٢٦ يونيو، غادر موكب مــبارك المؤلف من ثلاث سيارات مطار-اديس ابابا. كان سليمان يجلــس مع مبارك في المقعد الخلفي عندما بدأ إطلاق الرصاص مــن مدافــع رشاشــة. أطلق ثلاثة مسلحين الرصاص من مسافة قــصيرة وأصــابوا السيارة مرات. وانهمر الرصاص من أسطح مــبان مجــاورة. ما كان لسيارة عادية أن تتحمل هذا الوابل من الطلقات. أنقذ اللواء سليمان حياة مبارك. [٤]

كــان المهاجمون الأحد عشرة أعضاء في الجماعة الاسلامية المتــشددة، جمــيعا مــن صــعيد مصر.. وبعضهم من قنا. ومن المفارقــات ان لــواءً ناجحاً من قنا أنقذ مبارك في ذلك اليوم، من ناجحين اخرين منحدرين من نفس المكان المنعزل في الصعيد.

الفـــارق الوحـيد ان المهاجمين، وجميعهم طلبة ناجحون في الجامعـــات أو تخـــرجوا مـــنها، لـــم يُسمح لهم بمكان في الساحة السياسية. فالحياة في "مصر مبارك" مُقيدة بشدة، الى درجة انه لم يعـد أمـــام الأحزاب مجال يُذكر للتفاعل مع الاتجاهات السياسية. ونتـــيجة لذلك أصبحت القوتان اللتان لهما نفوذ كبير هما المؤسسة العسكرية والإسلاميون.

عـــاد مبارك الى القاهرة وهو يكاد ينفجر من الغضب، نفس شـــعور عمـــر ســـليمان. لكـــن اللواء سليمان بدأ أيضا يشعر أن حكومـــته تـــسير علـــى طريق خطر. فقد باءت بالفشل جهودها لتحطيم الحركة الإسلامية أو القضاء على ما تتمتع به من جاذبية، سواء بالقمع الوحشي، أو بحملة مُنسقة بدقة، بحيث تبدو الحكومة كما لو كانت أكثر إسلامية من الإسلاميين.

لم يتعرف المصريون على سليمان الا في يونيو ٢٠٠٠، بعد خمـــس ســـنوات من محاولة الاغتيال في أديس أبابا. فحتى ذلك الـــوقت، نادراً ما كانت الصحف تشير اليه بالاسم. في أول ظهور علنـــي له، سار اللواء سليمان بوقار الى جانب مبارك، وغيره من زعمـــاء العالم العربي المُسنين، في جنازة الرئيس السوري حافظ الاسـد الـــذى خلفه ابنه بشار. ولم تفت عن المصريين المصادفة الغـــريبة، كانـــت أول مهمة علنية لسليمان هى حضور جنازة في بداية عملية لوراثة الحكم.

وفـــي ســـبتمبر مـــن ذات العـــام، عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الحالية، وتوقفت فجأة عملية السلام تولى سليمان الملف

الفلسطيني بالكامل. وبدأ يتنقل دون توقف بين اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة، وشرع في مفاوضات سرية مع الموساد وحكومة أرييل شارون. وكان احد محاوريه أومري شارون ابن رئيس الوزراء الاسرائيلي. وقضى ساعات طويلة مع عرفات ومع زعماء حماس في محاولة للتوصل الى وقف اطلاق النار، وهو ما نجح في تحقيقه يونيو الماضي. وساهم في اقناع عرفات، تحت اصرار من الولايات المتحدة، بأن يعين محمود عباس رئيساً للوزراء.

بدأ مبارك يقضي وقتاً أطول مع مدير مخابراته. قال لي ضابط متقاعد: انه يُخبر مبارك بكل شيء بحنث. فبعد ٢٢ عاما في الحكم، لم تعد القيادات المُسنة المحيطة بالرئيس تقول له الا ما تعتقد انه يريد ان يسمع. لكن سليمان يقول لمبارك ما حدث بالضبط.

سألت سفيراً مصرياً عن وضع سليمان في الساحة الدبلوماسية. فقال يحظى باحترام شديد من الاسرائيليين والفلسطينيين. والأمريكيون يثقون فيه أكثر من أي شخص اخر. وتزداد زيارات سليمان لواشنطن، حتى أصبح بالفعل حلال عُقد[٥] رئيسي لمبارك ومحاوراً مع الولايات المتحدة. لكنه لم يكن مرتاحاً تماماً في البداية مع دوره الجديد.

قال الضابط المُتقاعد، وهو احد أصدقاء سليمان [٦]، كرجل مخابرات.. كان معتاداً على العمل في الظل. من الصعب عليه ان يقف على مسرح غير عسكري ويلقي خطاباً، فليس لديه جاذبية

، هـــل السياسة. لكنه مع ذلك محنكا ومرنا. تعاملت معه لسنوات
و.. ه٨ه٨ يقول للقيادات العليا هذا خطأ وهذا صواب، حتى عندما
ه٨ . . ، ار ا(ه لا تلقـــى شـــعبية. وهو ليس على اتفاق مع (الفريق
محمـــد طــنطاوى) وزير الدفاع الذى كان من الطبيعى أى يخلف
مــبارك، لكن حالته الصحية سيئة وهو مقارب لمبارك فى العمر.
وأسبـــاب الـــضابط لكن هذا طبيعي هنا. فالمفترض في مصر ألا
ذ٥ ..، مديـــر المخابـــرات ووزير الدفاع ووزير الداخلية بعضهم
وهه..١ . هذه هي احدى وسائل مبارك للبقاء على رأسهم.

امعرفه المزيد عن صورة عمر سليمان العامة الجديدة سألت
(هـــشام قاســـم) عـــنها، فأشار الى صورتين تم تكبيرهما لسليمان
مُعلقين على الحائط وراءه. نشرت الأولى في (كايرو تايمز) قبل
أشهر والثانية فى الصحف الحكومية بعد فترة قصيرة من الأولى.
اظهـــر على سليمان ملامح الصرامة والصلابة فى صورة كايرو
المـــز، يـــبدو منزعجاً من تطفل عدسة المصور وهو الى جوار
ياسر عرفات، الذى حاول اللواء سليمان التفاوض معه على وقف
اطـــلاق النار في الضفة وغزة. وفي الثانية الرسمية التى التقطت
في الوقت نفسه يبدو سليمان ودوداً بدرجة أكبر، تلمع عيناه وعلى
وجهه شبه ابتسامة، كان أكثر استرخاء ويبدو عرفات متضائلا في
وجود اللواء القوي.

لا تسير اللعبة السياسية في دماء عمر سليمان. ومع ذلك يبدو
انه، مثلما هو الحال مع جمال مبارك، يجري اعداده من المؤسسة
التى ينتمى اليها كل منهما.

ومن أكثر الاسئلة اثارة للفضول بشأن ظهورهما كمرشحين محتملين لوراثة الرئاسة، هو ما اذا كان يجرى إعدادهما معاً؟. أم انهما يمثلان صراع قوى بين الاصلاحيين والمتشددين في النظام. قد يفسر هذا الاحتمال الخط المتعرج الذى تسير فيه سياسات الحكومة. فعندما نسب لجمال فضل انشاء مجلس لحقوق الإنسان، ألقيت على سليمان مسؤولية قانون جديد مقيد لنشاط المنظمات غير الحكومية. وعندما أيد جمال الغاء محاكم أمن الدولة، قيل ان سليمان وراء تجديد قانون الطوارئ.

المحامي الإسلامي (منتصر الزيات) أعرفه منذ سنوات. دافع، وهو رجل مرح له لحية سوداء طويلة، عن المئات.. إن لم يكن الألاف من أعضاء (الجماعة والجهاد). سألته عن رأيه في قوة الإسلاميين داخل الجيش. قال: ما بين ١٠ و١٥ % من المتهمين في محاكمات الاسلاميين اما يخدمون في القوات المسلحة أو أفراد سابقين.

هي نسبة مرتفعة بشكل مدهش، نظراً لما قام به مبارك من تطهير المؤسسة العسكرية منهم على مدى سنوات حكمه. رغم ذلك فان عسكريين تورطوا في كل المحاولات المعروفة لإغتياله. والجيل الجديد من ضباط الجيش، لا يختلفون عن (العدل) [٢] الذى انضم للجيش بعد الهزيمة المهينة في حرب الأيام الستة.. إسلاميون بدرجة أكبر من الجيل السابق الذى كان يؤمن بالقومية، جيل عمر سليمان الذى نضج بعد فترة قصيرة من ثورة عبد الناصر. أما الجيل الجديد فقد بلغ النضج بعد أن تبين فشل الثورة.

في الأشهر الأولى من عام ١٩٩٧ كان الزيات عنصراً مهماً في المفاوض على اعلان وقف لطلاق نار أصدرته، في وقت لاحق، قيادات الجماعة والجهاد من داخل سجونهم. ولم يكن مستعداً لأن يبوح لي بأسماء شركائه في المفاوضات من جانب الحكومة. لكن خلال زيارة أخيرة قال لي أحد مساعدي مبارك إن الشخصية الرئيسية وراء الكواليس كانت عمر سليمان، هو الذي أنهى الحرب بين الإسلاميين والدولة.

تحولت الحرب الى صراع سياسي بين حكومة مبارك وبين الإخوان المسلمين، وهي منظمة كان يتم التهاون معها أحياناً وتتعرض للقمع أحياناً، وتدخل في تحالفات مع أنظمة مصرية معارضة في أحيان أخرى، لكنها محظورة رسمياً طوال خمسة عقود رغم نبذها العنف في التسعينيات.

استطاعت جماعة الإخوان، أكثر الأصوات الإسلامية اعتدالاً، ان تتخذ خطوات كبيرة نحو تحقيق هدفها الرئيسي وهو اغتصاب السلطة خلسة، لقد أقامت هياكل اجتماعية ممتازة، بما في ذلك مستشفيات ومدارس تتفوق كثيراً على المرافق السيئة الحكومية. كما انها تكتسح إنتخابات أهم النقابات العمالية [8] والمهنية والإتحادات الطلابية. لكن خلال التسعينات وفي أوج التمرد الاسلامي تعرضت لانشقاق عدد من شبابها، الذين شعروا بالإحباط المتزايد بسبب فشل الجماعة في الغاء الأمر العسكري المحظورة بموجبه. ونتيجة للانشقاق انضم الى العمل الإسلامي

المصري المتشدد شبان وشابات من الجيل الذى يحاول جمال مبارك التودد اليه (٩).

ولان كل من تحدثت معه وافق على ان الإسلاميين سيفوزون بالتأكيد إذا جرت انتخابات حرة فى مصر الأشهر أو السنة المقبلة، سألت منتصر الزيات عن موقف سليمان من الإسلاميين. لم يعطنى جواباً على الفور، ثم قال: أحياناً يقف مع المتشددين، وأحياناً يكون معتدلاً. قال: كان يعترض دائما على تعذيب الإسلاميين، لانه أدرك ان التعذيب يهزم نفسه في النهاية. يريد احتواء الإسلاميين دون منحهم مكاسب كبيرة. ان يكونوا حاضرين ولهم مساحة سياسية. بعبارة أخرى، يرى السماح لعدد محدود بخوض الإنتخابات، كجزء من العملية ما داموا ملتزمين بقواعد اللعبة ومطيعين.

كنت أعلم ان حوارا هادئا لا يزال يدور بشكل غير منتظم بين الإسلاميين والنظام، لذلك سألت الزيات عن تطوره الآن؟. فابتسم قائلاً: لا سلم.. لا حرب. وسألته هل يؤيد اللواء سليمان الاعتراف بالإخوان؟. رجع الزيات بمقعده للخلف وعبث بلحيته، ثم قال: ما كان الأمريكان ليقبلوا ذلك.

هوامش:

(١) نشر بمجلة (اتلانتك مونثلي) أكتوبر ٢٠٠٣. (ماري) صحفية وباحثة أمريكية معروفة، مؤلفة "صورة من مصر.. رحلة عبر عالم التشدد الإسلامي" عام ١٩٩٩، و "باكستان في ظل الجهاد"، و "أفغانستان" عام ٢٠٠٢. مهتمة بمصر بشكل خاص والعالم الإسلامي عامة، دائمة التردد على القاهرة لثلاثة عقود. احد رموس معركة الإفراج عن سعد الدين إبراهيم.

(٢) راجع هوامش "دولة سوزان مبارك".

(٣) فيما بعد، العضو المنتدب لجريدة (المصري اليوم)، ثم ناشراً لإصدار يومي رأسمالي التوجه، تحت التأسيس.

(٤) أول من نشر كوالسيس ما سبق رحلة اديس لعلها كان الباحث الاسرائيلي (دانيال سوبلمان).

(٥) اقتبست ساري تعبير "حلال العقد" في وصف عمر سليمان من (النيوزويك).

(٦) لابد ان نشعر بالغيرة المهنية والوطنية، تأتي "الأمريكية" لتلتقي هذا وذاك، وتحجب عنا المعلومات، ونمنع من مجرد الحديث فيما تناقشه هي.. بـ "ندية".

(٧) سيف العدل، أومحمد ابراهيم مكاوي، عقيد صاعقة سابق. الآن الرجل الثالث بالقاعدة ومسئول اللجنة الأمنية فيها، صاحب فكرة استغلال الطائرات في هجمات "١١ سبتمبر" ودرب مُنفذيها على استخدام المتفجرات. مُتهم بأنه وراء تفجيرات شهدتها السعودية ٢٠٠٣، وتفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨. وبتدريب المقاتلين الصوماليين الذين قتلوا ١٨ أمريكيا في مقديشيو عام ١٩٩٣، بعد خروجه من المعتقل سافر إلى أمريكا، فهولندا، ثم باكستان لينضم منها لـ "المجاهدين" الأفغان. اتهم عام ١٩٨٧ بإنشاء الجناح العسكري للجهاد المصرية، وبمحاولة قلب نظام الحكم. يُنسب إليه تأسيس ما عُرف اعلاميا بـ(طلائع الفتح).

(٨) نعلم جميعاً ان النقابات العمالية ظليت دائما تحت سيطرة النظام ولم يسيطر عليها الإخوان.

(٩) "المنشقون" هم مؤسسي حزب (الوسط)، ولم ينضموا لـ"العمل الإسلامي السري المُتشدد".



هل جمال آت.. آت.. كما يُصر البعض؟. سؤال شغل من كتبوا عن "القضية". فالمسألة
لا تتوقف عند تصفية الحرس القديم، كما نبه تقرير معهد الشرق الأوسط. فهناك
."مؤسسات حاسمة" في مصر يجب أن تدعمه

طرحت (ماري آن ويفر)، الباحثة الأمريكية المعروفة، مسألة الخلافة علي لواء متقاعد.
قال وهو يبتسم: لازلنا مثل أبو الهول. مع ذلك، عندما تذهبين إلي أي ناد للضباط
ستسمعين المناقشات تدور. لسنا بلداً تتوارث فيه الحكم عائلة واحدة. كان لعبد الناصر
.ابن وكان للسادات ابن، ولم يُهيأ أياً منهما في الحالتين

سألت ماري علي الدين هلال، الراعي السياسي لجمال، عن انتقادات اللواء. فقال دون أن
يجيب علي السؤال: من أهم أوجه قوة جمال إدراكه لضرورة الإصلاح. أنظري إلي
.تركيبتنا السكانية، ثلثي السكان تحت سن الخامسة والثلاثين

ويدخل 800 ألف خريج سوق العمل كل عام، يشكلون 90% من البطالة. يفهم جمال
أيضا مشكلتنا الثانية، وهي نتيجة للأولي، انتشار لتطرف خاصة بين الشباب. ظل
الدين هو حديثنا الوحيد. كل مسألة يتم تلبيسها عباءة الدين. فائدة البنوك؟
.السياحة؟ نمط الحياة الإسلامية الملائم؟ الدين يتخلل كل شيء. يعلم جمال هذا

لكنها سمعت تقييما مختلفاً عن جمال من الناشر هشام قاسم. قال: تابعت خطبه.
.جاهدت لأجد جديداً.. لا شيء. شخص عادي.. لا أكثر. كان تلميذاً عادياً ومصرفياً عادياً
وردد مسئول أمريكي قابل جمال مرات نفس الرأي. قال: يترك انطباعات جيدة. واثق من
نفسه للغاية، ويفهم أكثر من والده من أين أتي الأمريكيون. هذا هو الموضوع. لكن ماذا
يوجد في داخله؟

ميريت